٤/٣١٧ / قال شيخ الإسلام ـ قدسَ اللَّهُ رُوحَهُ :

فَصـل

وأفضل الأنبياء بعد محمد ﷺ إبراهيم الخليل ، كما ثبت في صحيح مسلم عن أنس عن النبي ﷺ: «أنه خَيْر البَرِيَّة» (١).

وكذلك قال العلماء، منهم: الربيع بن خُثَيْم (٢) قال: لا أفضل على نبينا أحداً، ولا أفضل على إبراهيم بعد نبينا أحداً.

٤ / سئلَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ فيمن يقول : إن غير الأنبياء يبلغ درجتهم بحيث يأمنون مكَر اللّه: هلَ يأثم بهذا الاعتقاد؟

فأَجَـاب :

من اعتقد أن في أولياء اللّه من لا يجب عليه اتباع المرسلين وطاعتهم فهو كافر، ستتاب، فإن تاب وإلا قتل، مثل من يعتقد أن في أمة محمد ﷺ من يستغنى عن متابعته ا استغنى الخضر عن متابعة موسى، فإن موسى لم تكن دعوته عامة، بخلاف محمد ﷺ فإنه مبعوث إلى كل أحد ، فيجب على كل أحد متابعة أمره، وإذا كان من اعتقد ط طاعته عنه كافراً، فكيف من اعتقد أنه أفضل منه، أو أنه يصير مثله!.

ما من اعتقد أن من الأولياء من يعلم أنه من أهل الجنة، كما بشر غير واحد من ة بالجنة، وكما قد يعرف اللّه بعض الأولياء أنه من أهل الجنة، فهذا لا يكفر .

هذا ، فلابد له من خشية اللّه ـ تعالى ، واللّه أعلم .

سائل (٢٣٦٩/ ١٥٠).

خيثم» والمثبت من كتب الرجال.

/ سئلَ الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن رجلٍ قال : إن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ معصومون من الكبائر، دون الصغائر، فكفَّره رجل بهذه، فهل قائل ذلك مخطئ أو مصيب؟ وهل قال أحد منهم بعصمة الأنبياء مطلقاً؟ وما الصواب في ذلك؟ ٤/٣١٩

فَأَجَـاب :

الحمد للّه رب العالمين، ليس هو كافرًا باتفاق أهل الدين ، ولا هذا من مسائل السب المتنازع في استتابة قائله بلا نزاع ، كما صرح بذلك القاضي عياض وأمثاله مع مبالغتهم في القول بالعصمة، وفي عقوبة السَّابِّ؛ ومع هذا فهم متفقون على أن القول بمثل ذلك ليس هو من مسائل السب والعقوبة، فضلا أن يكون قائل ذلك كافراً، أو فاسقاً؛ فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر «أبو الحسن الآمدي»[1] أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو ـ أيضاً ـ قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق [2] هذا القول، ولم ينقل عنهم ما يوافق القول. . . [3].

/ وإنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة ، ثم عن بعض المعتزلة ، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين. ٤/٣٢٠

وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء، أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها، ولا يقولون: إنها لا تقع بحال ، وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً ، وأعظمهم قولاً لذلك الرافضةُ ، فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي ، ويلقب بسيف الدين الآمدي، كان في أول اشتغاله حنبلي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي ، قام مدة ببغداد ، ثم انحدر إلى الشام واشتغل بفنون المعقول، ثم انتقل إلى مصر، وله مصنفات كثيرة في أصول الفقه والدين والمنطق وغيرها، ولد سنة ٥٥١هـ وتوفى سنة ٦٣١ هـ. [وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣، ٢٩٤، لسان الميزان ٣/ ١٦٠، ١٦١].

(٢) في المطبوعة : « يواقف» وهو خطأ.

(٣) بياض قدر ستة أسطر.

وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته، وقالوا بعصمة علىّ ، والاثنى عشر، ثم الإسماعيلية الذين كانوا ملوك القاهرة، وكانوا يزعمون أنهم خلفاء علويون فاطميون،وهم عند أهل العلم من ذرية عُبَيد اللّه القَدَّاح ، كانوا هم وأتباعهم يقولون بمثل هذه العصمة لأئمتهم ونحوهم، مع كونهم كما قال فيهم أبو حامد الغزالي ـ في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم – قال : ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض.

وقد صنف القاضي أبو يعلى وصف مذاهبهم في كتبه، وكذلك غير هؤلاء من علماء المسلمين، فهؤلاء وأمثالهم من الغلاة القائلين بالعصمة، وقد يُكفِّرون من ينكر القول بها، وهؤلاء الغالية هم كفار باتفاق المسلمين، فمن كفر القائلين بتجويز الصغائر عليهم كان مضاهياً لهؤلاء الإسماعيلية، والنصيرية، والرافضة، والاثنى عشرية، ليس هو قول أحد من أصحاب أبي حنيفة، ولا مالك، ولا الشافعي، ولا المتكلمين ـ المنتسبين إلى السنة المشهورين ـ كأصحاب / أبي محمد عبد اللّه بن سعيد بن كُلاب، وأبي الحسن على بن ٤/٣٢١
إسماعيل الأشعري، وأبي عبد اللّه محمد بن كَرَّام(١)، وغير هؤلاء، ولا أئمة التفسير ولا الحديث، ولا التصوف.ليس التكفير بهذه المسألة قول هؤلاء ، فالمكفر بمثل ذلك يستتاب، فإن تاب وإلا عوقب على ذلك عقوبة تردعه وأمثاله عن مثل هذا ، إلا أن يظهر منه ما يقتضى كفره وزندقته، فيكون حكمه حكم أمثاله.

وكذلك المُفَسِّق بمثل هذا القول يجب أن يُعَزَّر بعد إقامة الحجة عليه ، فإن هذا تفسيق لجمهور أئمة الإسلام.

وأما التصويب والتخطئة في ذلك، فهو من كلام العلماء الحافظين من علماء المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة ، وتفصيل القول في ذلك يحتاج إلى بسط طويل لا تحتمله هذه الفتوى ، واللّه أعلم .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن كَرَّام السجستاني، شيخ الكَرّامية، ساقط الحديث على بدعه، كان يكثر عن الكذابين، قال عنه ابن حبان : خذل حتى أخذ من المذاهب أردأها، ومن الأحاديث أوهاها. [لسان الميزان ٥/ ٤٠٠-٤٠٢، الأعلام للزركلي ٧/ ١٤].

/ **سُئِلَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ عن رجلين تنازعاً في أمر نبي اللّه عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فقال أحدهما : إن عيسى ابن مريم توفاه اللّه ثم رفعه إليه، وقال الآخر: بل رفعه إليه حيا. فما الصواب في ذلك؟ وهل رفعه بجسده ، أو روحه أم لا؟ وما الدليل على هذا وهذا ؟ وما تفسير قوله تعالى : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾** [آل عمران: ٥٥] ؟ ٤/٣٢٢

فَأَجَـابَ :

الحمد للّه، عيسى ـ عليه السلام ـ حي، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»(١) ، وثبت في الصحيح عنه: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يقتل الدَّجَّال(٢) . ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيى فإنه يقوم من قبره.

وأما قوله **تعالى**: ﴿إِنِّي(٣)مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فهذا دليل على أنه لم يَعْنِ بذلك الموت؛ إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن اللّه يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء ، فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله : ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، ولو / كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء، أو غيره من الأنبياء. ٤/٣٢٣

وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨] ، فقوله هنا: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه، كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه؛ إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه، بل مات. فقوله : ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه ،كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه.

---

(١) البخاري في الأنبياء (٣٤٤٨) ، ومسلم في الإيمان (١٥٥/ ٢٤٢) ، والترمذي في الفتن (٢٣٣)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٧٨)، وأحمد ٢/ ٢٧٢، ٣٩٤.

(٢) أبو داود في الملاحم (٤٣٢١)، والترمذي في الفتن (٢٢٤٠) ،وابن ماجه في الفتن (٤٠٧٥).

(٣) في المطبوعة : « إن» والصواب ما أثبتناه.

ولهذا قال من قال من العلماء: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾: أي: قابضك، أي: قابض روحك وبدنك، يقال: تَوَفَّيْتُ الحسابَ واستوفيتُه، ولفظ التَّوَفِّي لا يقتضي نفسه تَوفِّي الروح دون البدن، ولا تَوَفِّيهما جميعاً، إلا بقرينة منفصلة.

وقد يراد به توفي النوم كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ**﴾ [الأنعام: ٦٠] ، وقوله: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**﴾ [الأنعام: ٦١] ، وقد ذكروا في صفة توفي المسيح ما هو مذكور في موضعه. واللّه ـ تعالى ـ أعلم.

obeikandl.com

/ سُئِلَ الشَّيخُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : ٤/٣٢٤

هل صح عن النبي ﷺ أن اللّه ـ تبارك وتعالى ـ أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه، ثم ماتا بعد ذلك ؟

فَأَجَـاب :

لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث، بل أهل المعرفة متفقون على أن ذلك كذب مختلق، وإن كان قد روى في ذلك أبو بكر ـ يعني الخطيب ـ في كتابه «السابق واللاحق»، وذكره أبو القاسم السهيلي في «شرح السيرة» بإسناد فيه مجاهيل ، وذكره أبو عبد اللّه القرطبي في «التذكرة» ، وأمثال هذه المواضع، فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذباً ،كما نص عليه أهل العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمدة في الحديث، لا في الصحيح ولا في السنن ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة، ولا ذكره أهل كتب المغازي والتفسير، وإن كانوا قد يروون الضعيف مع الصحيح؛ لأن ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين، فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله ، فإنه من أعظم الأمور خرقاً للعادة من وجهين:

/ من جهة إحياء الموتى، ومن جهة الإيمان بعد الموت، فكان نقل مثل هذا أولى من ٤/٣٢٥
نقل غيره، فلما لم يروه أحد من الثقات علم أنه كذب.

والخطيب البغدادي هو في كتاب «السابق واللاحق» مقصوده أن يذكر من تقدم ومن تأخر من المحدثين عن شخص واحد، سواء كان الذي يروونه صدقاً أو كذباً، وابن شاهين يروي الغَثَّ والسَّمين، والسهيلي إنما ذكر ذلك بإسناد فيه مجاهيل.

ثم هذا خلاف الكتاب، والسنة الصحيحة والإجماع. قال اللّه تعالى : ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** (١) . **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

فبين اللّه تعالى : أنه لا توبة لمن مات كافراً، وقال تعالى : ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾ [غافر: ٨٥]. فأخبر أن

(١) في المطبوعة :«غفوراً رحيماً» والصواب ما أثبتناه.

سنته في عباده أنه لا ينفع الإيمان بعد رؤية البأس؛ فكيف بعد الموت؟ ونحو ذلك من النصوص.

وفي صحيح مسلم: أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أين أبي ؟ قال: « إن أباك في النار» . فلما أدبر دعاه فقال: « إن أبي وأباك في النار»(١).

٤/٣٢٦ وفي صحيح مسلم ـ أيضاً ـ أنه قال : «استأذنت ربي أن أزور قبر أمي، / فأذن لي ، واستأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي ، فزوروا القبور، فإنها تُذكِّر الآخرة » (٢).

وفي الحديث ـ الذي في المسند وغيره ـ قال: « إن أمي مع أمك في النار» (٣)، فإن قيل : هذا في عام الفتح والإحياء كان بعد ذلك في حجة الوداع؛ ولهذا ذكر ذلك من ذكره، وبهذا اعتذر صاحب التذكرة، وهذا باطل لوجوه:

الأول: أن الخبر عما كان ويكون لا يدخله نسخ، كقوله في أبي لهب: ﴿**سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾ [المسد:٣] ، وكقوله في الوليد :﴿ **سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا** ﴾ [المدثر:١٧].

وكذلك في :«إن أبي وأباك في النار» و «إن أمي وأمك في النار» ، وهذا ليس خبراً عن نار يخرج منها صاحبها كأهل الكبائر؛ لأنه لو كان كذلك لجاز الاستغفار لهما، ولو كان قد سبق في علم اللّه إيمانهما لم ينهه عن ذلك ، فإن الأعمال بالخواتيم، ومن مات مؤمنا فإن اللّه يغفر له، فلا يكون الاستغفار له ممتنعاً.

الثاني : أن النبي ﷺ زار قبر أمه؛ لأنها كانت بطريقه بالحَجُون عند مكة عام الفتح، وأما أبوه فلم يكن هناك، ولم يزره؛ إذ كان مدفوناً بالشام في غير طريقه، فكيف يقال: أحيى له ؟

الثالث : أنهما لو كانا مؤمنين إيماناً ينفع ،كانا أحق بالشهرة والذكر من عميه: حمزة والعباس، وهذا أبعد مما يقوله الجهال من الرافضة ونحوهم، /من أن أبا طالب آمن، ٤/٣٢٧ ويحتجون بما في السيرة من الحديث الضعيف، وفيه أنه تكلم بكلام خفي وقت الموت.

ولو أن العباس ذكر أنه آمن لما كان قال للنبي ﷺ : عمك الشيخ الضال كان ينفعك فهل نفعته بشيء؟ فقال: « وجدته في غمرة من نار فشفعت فيه حتى صار في ضحضاح من نار، في رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»(٤).

---

(١) مسلم في الإيمان (٢٠٣/ ٣٤٧).

(٢) مسلم فى الجنائز (٩٧٦ / ١٠٥ ، ١٠٨) .

(٣) أحمد ٤/ ١١، وقال الهيثمى فى المجمع ١ / ١٢١ : « رجاله ثقات » .

(٤) مسلم فى الإيمان (٢٠٩ / ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

هذا باطل مخالف لما في الصحيح وغيره، فإنه كان آخر شيء قاله: هو على ملة عبد المطلب، وأن العباس لم يشهد موته، مع أن ذلك لو صح لكان أبو طالب أحق بالشهرة من حمزة والعباس، فلما كان من العلم المتواتر المستفيض بين الأمة ـ خلفاً عن سلف ـ أنه لم يذكر أبو طالب ولا أبواه في جملة من يذكر من أهله المؤمنين، كحمزة ، والعباس، وعلي ، وفاطمة، والحسن والحسين ـ رضي الله عنهم ـ كان هذا من أبين الأدلة على أن ذلك كذب.

الرابع : أن الله تعالى قال: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ** ﴾ إلى قوله: ﴿**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ** ﴾ الآية [الممتحنة: ٤] ، وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ**﴾ [التوبة: ١١٤].

فأمر بالتأسي بإبراهيم والذين معه، إلا في وعد إبراهيم لأبيه بالاستغفار، وأخبر أنه لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. والله أعلم.

٤/٣٢٨ / **سُئلَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن هذه الأحاديث : أن النبي ﷺ رأى موسى ـ عليه السلام ـ وهو يصلي في قبره، ورآه وهو يطوف بالبيت، ورآه في السماء، وكذلك بعض الأنبياء. وهل إذا مات أحد يبقى له عمل، والحديث أنه ينقطع عمله؟ وهل ينتفع بهذه الصلاة والطواف؟ وهل رأى الأنبياء بأجسادهم في هذه الأماكن أم بأرواحهم؟**

فأجَاب :

الحمد للّه رب العالمين، أما رؤيا موسى ـ عليه السلام ـ في الطواف، فهذا كان رؤيا منام، لم يكن ليلة المعراج ـ كذلك جاء مفسرا ـ كما رأى المسيح أيضاً، ورأى الدجال. وأما رؤيته ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء ـ لما رأى آدم في السماء الدنيا، ورأى يحيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة ـ أو بالعكس ، فهذا رأى أرواحهم مصورة في صور أبدانهم.

وقد قال بعض الناس : لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وهذا ليس بشيء.

٤/٣٢٩ / لكن عيسى صعد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قد قيل في إدريس.

وأما إبراهيم وموسى وغيرهما، فهم مدفونون في الأرض.

والمسيح ـ ﷺ وعلى سائر النبيين ـ لابد أن ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة(١)؛ ولهذا كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف، وإدريس، وهارون؛ لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة ، بخلاف غيره.

وآدم كان في سماء الدنيا ؛لأن نَسَم بنيه تعرض عليه ـ أرواح السعداء ـ والأشقياء لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ـ فلا بد إذا عرضوا عليه أن يكون قريباً منهم.

---

(١) سبق تخريجها ص ١٩٧ .

وأما كونه رأى موسى قائما يصلي في قبره، ورآه في السماء أيضاً ،فهذا لا منافاة بينهما، فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة، في اللحظة الواحدة تصعد ، وتهبط كالملك ، ليست في ذلك كالبدن.

وقد بسطت الكلام على أحكام الأرواح بعد مفارقة الأبدان في غير هذا الموضع، وذكرت بعض ما في ذلك من الأحاديث، والآثار، والدلائل .

وهذه الصلاة ونحوها مما يتمتع بها الميت، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة / بالتسبيح، ٤/٣٣٠
فإنهم يُلْهَمون التسبيح كما يلهم الناس في الدنيا النَّفَس، فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به .

وقول النبي ﷺ :« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له» (١) ،يريد به العمل الذي يكون له ثواب، لم يرد به نفس العمل الذي يتنعم به، فإن أهل الجنة يتنعمون بالنظر إلى اللّه، ويتنعمون بذكره وتسبيحه، ويتنعمون بقراءة القرآن، ويقال لقارئ القرآن: اقرأ وارْقَ، ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها.

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته، وإن كانت هذه الأمور في الدنيا أعمالاً يترتب عليها الثواب فهي في الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه، وهذه كلها أعمال أيضاً والأكل والشرب والنكاح في الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة، وهو في الآخرة نفس الثواب الذي يتنعم به . واللّه أعلم.

وهذا قدر ما احتملته هذه الورقة، فإن هذه المسائل لها بسط طويل.

(١) مسلم فى الوصية (١٦٣١ / ١٤) .

٤/٣٣١ / سُئِلَ الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن الذبيح من ولد خليل الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ هَل هو إسماعيل، أو إسحاق؟

فَأَجَاب:

الحمد لله رب العالمين، هذه المسألة فيها مذهبان مشهوران للعلماء، وكل منهما مذكور عن طائفة من السلف، وذكر أبو يعلى في ذلك روايتين عن أحمد، ونصر أنه إسحاق، إتباعاً لأبي بكر عبد العزيز، وأبو بكر اتبع محمد بن جرير. ولهذا يذكر أبو الفرج ابن الجوزي أن أصحاب أحمد ينصرون أنه إسحاق، وإنما ينصره هذان، ومن اتبعهما، ويحكى ذلك عن مالك نفسه لكن خالفه طائفة من أصحابه.

وذكر الشريف أبو علي بن أبي يوسف: أن الصحيح في مذهب أحمد أنه إسماعيل، وهذا هو الذي رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه، قال: مذهب أبي أنه إسماعيل، وفي الجملة فالنزاع فيها مشهور، لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة، وهو الذي تدل عليه التوراة التي بأيدي أهل الكتاب.

٤/٣٣٢ / وأيضا، فإن فيها أنه قال لإبراهيم: اذبح ابنك وحيدك. وفي ترجمة أخرى: بِكْرك، وإسماعيل هو الذي كان وحيده وبكره باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، لكن أهل الكتاب حرَّفوا، فزادوا إسحاق، فتلقى ذلك عنهم من تلقاه، وشاع عند بعض المسلمين أنه إسحاق، وأصله من تحريف أهل الكتاب.

ومما يدل على أنه إسماعيل قصة الذبيح المذكورة في سورة الصافات، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ (١)بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]، وقد انطوت البشارة على ثلاث: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ الحلم، وأنه يكون حليماً. وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[الصافات:١٠٢]؟ وقيل: لم ينعت الله الأنبياء بأقل من الحلم، وذلك لعزة وجوده، ولقد نعت إبراهيم به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥] لأن الحادثة شهدت بحلمهما: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾إلى قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ

(١) في المطبوعة: «وبشرناه» والصواب ما أثبتناه.

﴿إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١٠٢-١١٣].

فهذه القصة تدل على أنه إسماعيل من وجوه:

أحدها: أنه بشره بالذبيح وذكر قصته أولا، فلما استوفى في ذلك قال: /﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢، ١١٣]، فبين أنهما بشارتان: بشارة بالذبيح، وبشارة ثانية بإسحاق، وهذا بين. ٤/٣٣٣

الثاني: أنه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن إلا في هذا الموضع، وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصة، كما في سورة هود، من قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، فلو كان الذبيح إسحاق لكان خلفاً للوعد في يعقوب، وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ[1] بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٨، ٢٩]، وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ. قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٣-٥٥]، ولم يذكر أنه الذبيح، ثم لما ذكر البشارتين جميعاً: البشارة بالذبيح والبشارة بإسحاق بعده، كان هذا من الأدلة على أن إسحاق ليس هو الذبيح.

ويؤيد ذلك أنه ذكر هبته وهبة يعقوب لإبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ [وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ][2] وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، ولم يذكر الله الذبيح.

الوجه الثالث: أنه ذكر في الذبيح أنه غلام حليم، ولما ذكر البشارة بإسحاق ذكر البشارة بغلام عليم في غير هذا الموضع، والتخصيص لابد له من حكمة، /وهذا مما يقوي اقتران الوصفين، والحلم هو مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح. ٤/٣٣٤

وإسماعيل وصف بالصبر في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ[3] وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وهذا أيضاً وجه ثالث فإنه قال في الذبيح: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وقد وصف الله إسماعيل أنه من الصابرين، ووصف الله ـ تعالى ـ إسماعيل أيضًا بصدق الوعد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ

(١) في المطبوعة: «وبشرناه» والصواب ما أثبتناه.

(٢) سقط من المطبوعة.

(٣) في المطبوعة: «واذكر إسماعيل واليسع» والصواب ما أثبتناه.

كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] ؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به.

الوجه الرابع : أن البشارة بإسحاق كانت معجزة ؛ لأن العجوز عقيم؛ ولهذا قال الخليل ـ عليه السلام : ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[الحجر: ٥٤] ، وقالت امرأته: ﴿ أَأَلِدُ وأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، وقد سبق أن البشارة بإسحاق في حال الكِبَر، وكانت البشارة مشتركة بين إبراهيم وامرأته.

وأما البشارة بالذبيح، فكانت لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وامتحن بذبحه دون الأم المبشرة به، وهذا مما يوافق ما نقل عن النبي ﷺ وأصحابه في الصحيح وغيره: من أن
٤/٣٣٥ إسماعيل لما ولدته هاجر غارت سارة ، فذهب إبراهيم / بإسماعيل وأمه إلى مكة، وهناك أمر بالذبح. وهذا مما يؤيد أن هذا الذبيح دون ذلك.

ومما يدل على أن الذبيح ليس هو إسحاق، أن الله تعالى قال: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[هود: ٧١]، فكيف يأمر بعد ذلك بذبحه؟ والبشارة بيعقوب تقتضى أن إسحاق يعيش ويولد له يعقوب، ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب، بل يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلا ريب.

ومما يدل على ذلك: أن قصة الذبيح كانت بمكة، والنبي ﷺ لما فتح مكة كان قرنا الكبش في الكعبة، فقال النبي ﷺ للسادن: «إني آمرك أن تخمر قرني الكبش فإنه لا ينبغي أن يكون في القبلة ما يلهي المصلى»(١).

ولهذا جعلت مني محلا للنسك من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما اللذان بنيا البيت بنص القرآن.

ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة ، لا من أهل الكتاب،ولا غيرهم ، لكن بعض المؤمنين من أهل الكتاب يزعمون أن قصة الذبح كانت بالشام، فهذا افتراء. فإن هذا
٤/٣٣٦ لو كان ببعض جبال الشام لعرف ذلك / الجبل ، وربما جعل مَنْسَكاً كما جعل المسجد الذي بناه إبراهيم وما حوله من المشاعر.

وفي المسألة دلائل أخرى على ما ذكرناه، وأسئلة أوردها طائفة؛ كابن جرير، والقاضي أبي يعلى ، والسهيلي، ولكن لا يتسع هذا الموضع لذكرها والجواب عنها ، والله ـ عز وجل ـ أعلم.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

---

(١) أحمد ٤ / ٦٨ ، ٥ / ٣٨٠ ، عن امرأة من بنى سليم .

/ وَسُئِلَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن «الخضر» و «إلياس» ، هل هما معمران؟ بينوا لنا ـ رحمكم اللّه تعالى . ٤/٣٣٧

فأجاب :

إنهما ليسا في الأحياء ، ولا معمران، وقد سأل إبراهيم الحربي أحمد بن حنبل عن تعمير الخضر وإلياس، وأنهما باقيان يريان ويروى عنهما، فقال الإمام أحمد : من أحال على غائب لم ينصف منه، وما ألقى هذا إلا شيطان.

وسئل البخاري عن الخضر وإلياس : هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي ﷺ : «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على وجه الأرض أحد؟»[1].

وقال أبو الفرج ابن الجوزي : قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وليس هما في الأحياء . واللّه أعلم.

(١) البخاري في العلم (١١٦) ، وفي المواقيت (٥٦٤) ، وأحمد ٢/ ١٢١، ١٣١، كلاهما عن ابن عمر .

obeikandl.com

٤/٣٣٨ / سُئِلَ الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ :

هل كان الخضر ـ عليه السلام ـ نبياً أو ولياً ؟ وهل هو حي إلى الآن؟ وإن كان حياً فما تقولون فيما روى عن النبي ﷺ أنه قال: « لو كان حياً لزارني» هل هذا الحديث صحيح أم لا؟

فأجَـاب:

أما نبوته : فمن بعد مبعث رسول اللّه ﷺ لم يوح إليه ولا إلى غيره من الناس ، وأما قبل مبعث النبي ﷺ فقد اختلف في نبوته، ومن قال: إنه نبى ، لم يقل: إنه سلب النبوة، بل يقول: هو كإلياس نبىء ، لكنه لم يوح إليه في هذه الأوقات، وترك الوحي إليه في مدة معينة ليس نفياً لحقيقة النبوة، كما لو فتر الوحي عن النبي ﷺ في أثناء مدة رسالته.

وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبياً، مع أن نبوة من قبلنا يقرب كثير منها من الكرامة
٤/٣٣٩ والكمال في الأمة ، وإن كان كل واحد من النبيين أفضل من كل / واحد من الصديقين كما رتبه القرآن، وكما روى عن النبي ﷺ أنه قال :« ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصديق»(١) ، وروى عنه ﷺ أنه قال: «إن كان الرجل ليسمع الصوت فيكون نبياً».

وفي هذه الأمة من يسمعه ويرى الضوء وليس بنبي؛ لأن ما يراه ويسمعه يجب أن يعرضه على ما جاء به محمد ﷺ ، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه تيقن أن الذي جاء من عند اللّه يقين لا يخالطه ريب، ولا يحوجه أن يشهد عليه بموافقة غيره.

وأما حياته: فهو حي. والحديث المذكور لا أصل له، ولا يعرف له إسناد، بل المروي في مسند الشافعي وغيره: أنه اجتمع بالنبي ﷺ (٢)، ومن قال: إنه لم يجتمع بالنبي ﷺ فقد قال ما لا علم له به، فإنه من العلم الذي لا يحاط به .

ومن احتج على وفاته بقول النبي ﷺ : «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنه على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد» (٣) فلا حجة فيه ، فإنه يمكن أن

---

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤٧ وقال:« رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي وهو كذاب».

(٢) الشافعي في المسند ١/ ٢١٦.

(٣) سبق تخريجه. ص٢٠٧ .

يكون الخضر إذ ذاك على وجه الأرض .

ولأن الدجال ـ وكذلك الجساسة ـ الصحيح أنه كان حيا موجودا /على عهد النبي ﷺ، وهو باق إلى اليوم لم يخرج ، وكان في جزيرة من جزائر البحر. ٤/٣٤٠

فما كان من الجواب عنه كان هو الجواب عن الخضر ، وهو أن يكون لفظ الأرض لم يدخل في هذا الخبر، أو يكون أراد ﷺ الآدميين المعروفين، وأما من خرج عن العادة فلم يدخل في العموم ،كما لم تدخل الجن، وإن كان لفظاً ينتظم الجن والإنس . وتخصيص مثل هذا من مثل هذا العموم كثير معتاد . واللّه أعلم .

obeikandl.com

٤/٣٤١ / **وسُئِلَ عن النبي ﷺ : هل يعلم وقت الساعة ؟**

فأَجَــاب:

أما الحديث المسؤول عنه ،كونه ﷺ يعلم وقت الساعة، فلا أصل له، ليس عن النبي ﷺ في تحديد وقت الساعة نص أصلاً ، بل قد قال تعالى :﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي: خفى على أهل السموات والأرض ، وقال تعالى لموسى : ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ [طه: ١٥]. قال ابن عباس وغيره: أكاد أخفيها من نفسي فكيف أطلع عليها؟

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ وهو في مسلم من حديث عمر : أن النبي ﷺ قيل له: متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»(١). فأخبر أنه ليس بأعلم بها من السائل،وكان السائل في صورة أعرابي، ولم يعلم أنه جبريل إلا بعد أن ذهب وحين أجابه لم يكن يظنه إلا أعرابيا، فإذا كان النبي ﷺ قد قال عن نفسه: إنه ليس
٤/٣٤٢ بأعلم بالساعة من / أعرابي ، فكيف يجوز لغيره أن يدعي علم ميقاتها؟! وإنما أخبر الكتاب والسنة بأشراطها ، وهي علاماتها ، وهي كثيرة تقدم بعضها، وبعضها لم يأت بعد.

ومن تكلم في وقتها المعين ، مثل الذي صنف كتاباً سماه «الدر المنظم في معرفة الأعظم» وذكر فيه عشر دلالات بين فيها وقتها، والذين تكلموا على ذلك من « حروف المعجم» والذي تكلم في « عنقاء مغرب» وأمثال هؤلاء، فإنهم وإن كان لهم صورة عظيمة عند أتباعهم ، فغالبهم كاذبون مفترون، وقد تبين لديهم من وجوه كثيرة أنهم يتكلمون بغير علم ؛ وإن ادعوا في ذلك الكشف ومعرفة الأسرار، وقد قال تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٣] .

---

(١) البخاري في الإيمان (٥٠) ،ومسلم في الإيمان (٨/ ١، ٩/ ٥-٧).

/ سُئلَ شَيْخُ الإِسْلاَم عن صالحي بني آدم، والملائكة، أيهما أفضل ؟ ٤/٣٤٣

فَأَجـاب:

بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية؛ فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون(١) عما يلابسه بنو آدم ، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر.

وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة، فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة.

قال ابن القيم: وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه.

/ وسُئلَ عن المطيعين من أمة محمد ﷺ : هل هم أفضل من الملائكة؟ ٤/٣٤٤

فأَجَـاب:

قد ثبت عن عبد اللّه بن عمرو أنه قال : إن الملائكة قالت: يا رب ، جعلت بني آدم يأكلون في الدنيا ويشربون ويتمتعون ، فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا . قال: «لا أفعل». ثم أعادوا عليه فقال: «لا أفعل». ثم أعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً فقال: «وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له : كن فكان» . ذكره عثمان ابن سعيد الدارمي، ورواه عبد اللّه بن أحمد في كتاب « السنن» عن النبي ﷺ مرسلا.

وعن عبد اللّه بن سلام أنه قال : ما خلق اللّه خلقاً أكرم عليه من محمد، فقيل له : ولا جبريل ولا ميكائيل ؟ فقال للسائل: أتدري ما جبريل وما ميكائيل؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر، وما خلق اللّه خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما علمت عن أحد من الصحابة ما يخالف ذلك. وهذا هو المشهور عند المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو: أن الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة.

ولنا في هذه المسألة «مصنف» مفرد ذكرنا فيه الأدلة من الجانبين.

(١) في المطبوعة :« منزهين» والصواب ما أثبتناه.

٤/٣٤٥ / **سُئِلَ الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن آدم لما خلقه الله ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته: هل سجد ملائكة السماء والأرض، أم ملائكة الأرض خاصة؟ وهل كان جبرائيل وميكائيل مع من سجد ؟ وهل كانت الجنة التي سكنها جنة الخلد الموجودة ؟ أم جنة في الأرض خلقها الله له ؟ ولما أهبط هل أهبط من السماء إلى الأرض، أم من أرض إلى أرض مثل بني إسرائيل؟**

فأَجَـاب:

الحمد لله، بل أسجد له جميع الملائكة كما نطق بذلك القرآن في قوله تعالى : ﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾ [الحجر: ٣٠، ص: ٧٣] ، فهذه ثلاث صيغ مقررة للعموم وللاستغراق، فإن قوله : ﴿**الْمَلائِكَةُ**﴾ يقتضي جميع الملائكة ، فإن اسم الجمع المعرف بالألف واللام يقتضى العموم كقوله: «رب الملائكة والروح» فهو رب جميع الملائكة .

الثاني: ﴿ **كُلُّهُمْ** ﴾ ، وهذا من أبلغ العموم . الثالث : قوله : ﴿ **أَجْمَعُونَ** ﴾ وهذا توكيد للعموم.

٤/٣٤٦ فمن قال: إنه لم يسجد له جميع الملائكة، بل ملائكة الأرض، فقد رد القرآن / بالكذب والبهتان ، وهذا القول ونحوه ليس من أقوال المسلمين واليهود والنصارى؛ وإنما هو من أقوال الملاحدة المتفلسفة، الذين يجعلون «الملائكة» قوى النفس الصالحة، و«الشياطين» قوى النفس الخبيثة، ويجعلون سجود الملائكة طاعة القوى للعقل، وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثة للعقل؛ ونحو ذلك من المقالات التي يقولها أصحاب «رسائل إخوان الصفا» وأمثالهم من القرامطة الباطنية ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة والمتعبدة. وقد يوجد نحو هذه الأقوال في أقوال المفسرين التي لا إسناد لها يعتمد عليه.

ومذهب المسلمين، واليهود، والنصارى، ما أخبر الله به في القرآن، ولم يكن في المأمورين بالسجود أحد من الشياطين، لكن أبوهم إبليس هو كان مأموراً فامتنع وعصى، وجعله بعض الناس من الملائكة لدخوله في الأمر بالسجود، وبعضهم من الجن ؛لأن له قبيلاً وذرية، ولكونه خلق من نار والملائكة خلقوا من نور.

والتحقيق أنه كان منهم باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله، ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا غيرهما.

وما ذكره صاحب خواص القرآن وأمثاله من خلاف فأقوالهم باطلة، قد بينا فسادها وبطلانها بكلام مبسوط ليس هذا موضعه.

وهذا مما استدل به أهل السنة على أن آدم وغيره من الأنبياء والأولياء / أفضل من ٤/٣٤٧
جميع الملائكة ؛ لأن الله أمر الملائكة بالسجود له إكراماً له ؛ ولهذا قال إبليس : ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، فدل على أن آدم كرم على من سجد له.

و«الجنة» التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة، وأهل السنة والجماعة هي: جنة الخلد، ومن قال : إنها جنة في الأرض بأرض الهند ، أو بأرض جدة ، أو غير ذلك ، فهو من المتفلسفة والملحدين ، أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين ، فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة .

والكتاب والسنة يردان [١]هذا القول . وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول . قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ إلى قوله: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا[٢] بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٤-٣٦]. فقد أخبر أنه سبحانه أمرهم بالهبوط وأن بعضهم عدو لبعض ثم قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

وهذا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض، وإنما أهبطوا إلى الأرض؛ فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا إلى أرض أخرى ـ كانتقال قوم موسى من أرض إلى أرض ـ لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده؛ وكذلك قال في الأعراف لما قال إبليس : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ . قَالَ فَاهْبِطْ[٣] مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٢، ١٣] .

/ فقوله : ﴿ فَاهْبِطْ [٤]مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ يبين اختصاص السماء بالجنة ٤/٣٤٨
بهذا الحكم؛ فإن الضمير في قوله : ﴿ منها ﴾ عائد إلى معلوم غير مذكور في اللفظ، وهذا بخلاف قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]، فإنه لم يذكر هناك ما أهبطوا فيه، وقال هنا : ﴿اهْبِطُوا﴾ لأن الهبوط يكون من عُلُوٍّ إلى سُفْل وعند أرض السُّراة حيث كان بنو إسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذي يهبطون إليه. ومن هبط من جبل إلى واد قيل له : هبط.

وأيضاً ، فإن بني إسرائيل كانوا يسيرون ويرحلون، والذي يسير ويرحل إذا جاء بلدة يقال: نزل فيها؛ لأن في عادته أنه يركب في سيره، فإذا وصل نزل عن دوابه.

قال: نزل العسكر بأرض كذا ، ونزل القُفَّل [٥] بأرض كذا ؛ لنزولهم عن الدواب .

---

(١) في المطبوعة :« يرد» والصواب ما أثبتناه.

(٢) في المطبوعة:« قلنا أهبطوا منها جميعًا» والصواب ما أثبتناه.

(٣، ٤) في المطبوعة :« اهبط» والصواب ما أثبتناه.

(٥) القُفَّل: الرُّفقة والجماعة في السفر . انظر: لسان العرب، مادة « قفل».

ولفظ النزول كلفظ الهبوط ، فلا يستعمل هبط إلا إذا كان من علو إلى سفل.

وقوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . قَالَ اهْبِطُوا ﴾ الآيتان [الأعراف: ٢٣، ٢٤] ، فقوله هنا بعد قوله: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[الأعراف: ٢٤] يبين أنهم هبطوا إلى الأرض من غيرها، وقال : ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥] دليل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون، ومنه يخرجون، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة.

٤/٣٤٩ / والنصوص في ذلك كثيرة وكذلك كلام السلف والأئمة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي ﷺ قال :«احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم، أنت أبو البشر ، خلقك اللّه بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، فلماذا أخرجتنا وذريتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك اللّه برسالته وكلامه فهل تجد في التوراة : وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال: نعم. قال: فلماذا تلومني على أمر قدره اللّه عليَّ قبل أن أخلق؟ فقال: فحج آدم موسى»[1]، وموسى إنما لام آدم ؛ لما حصل له وذريته بالخروج من الجنة من المشقة والنكد، فلو كان ذلك بستاناً في الأرض، لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه.

وآدم ـ عليه السلام ـ احتج بالقدر؛ لأن العبد مأمور على أن يصبر على ما قدره اللّه من المصائب، ويتوب إليه، ويستغفره من الذنوب والمعائب. واللّه أعلم.

(١) البخارى فى القدر (٦٦١٤) ،ومسلم فى القدر (٢٦٥٢ / ١٥) .

/ قَالَ شَيخُ الإسْلام: ٤/٣٥٠

فَصـــل

في المسألة المشهورة بين الناس، في «التفضيل بين الملائكة والناس» قال: الكلام إما أن يكون في التفضيل بين الجنس: الملك، والبشر ، أو بين صالحي الملك والبشر.

أما الأول ،وهو أن يقال: أيما أفضل: الملائكة، والبشر؟ فهذه كلمة تحتمل أربعة أنواع:

النَّوعُ الأول:

أن يقال : هل كل واحد من آحاد الناس أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة؟ فهذا لا يقوله عاقل، فإن في الناس: الكفار، والفجار ،والجاهلين، والمستكبرين، والمؤمنين، وفيهم من هو مثل البهائم والأنعام السائمة، بل الأنعام أحسن حالاً من هؤلاء ، كما نطق بذلك القرآن في مواضع، مثل قوله تعالى :﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٢]، وقال / تعالى :﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنفال: ٥٥]، وقال : ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٩] ، والدواب جمع دابة، وهو كل ما دب في سماء وأرض من إنس وجن،وملك وبهيمة ، ففي القرآن ما يدل على تفضيل البهائم على كثير من الناس في خمس آيات. ٤/٣٥١

وقد وضع ابن المرزبان(١) كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» وقد جاء في ذلك من المأثور ما لا نستطيع إحصاءه ، مثل ما في مسند أحمد: « رب مركوبة أكثر ذكراً من راكبها» (٢). وفضل البهائم عليهم من وجوه:

أحدها: أن البهيمة لا سبيل لها إلى كمال وصلاح أكثر مما تصنعه، والإنسان له سبيل

---

(١) هو أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام البغدادي الآجري ، له تصانيف كثيرة منها:« كتاب الحاوي في علوم القرآن»، «كتاب المتيمين» وغيرهما، ومات سنة ٣٠٩هـ.[تاريخ بغداد ٥/ ٢٣٧-٢٣٩، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٨].

(٢) أحمد ٣/ ٤٣٩، ٤٤٠ عن معاذ بن أنس الجهني.

لذلك، فإذا لم يبلغ صلاحه وكماله الذي خلق له، بان نقصه وخسرانه من هذا الوجه.

وثانيها : أن البهائم لها أهواء وشهوات، بحسب إحساسها وشعورها، ولم تؤت تمييزاً وفرقانا بين ما ينفعها ويضرها، والإنسان قد أوتى ذلك. وهذا الذي يقال: الملائكة لهم عقول بلا شهوات، والبهائم لها شهوات بلا عقول، والإنسان له شهوات وعقل . فمن غلب عقله شهوته، فهو أفضل من الملائكة، أو مثل الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه.

٤/٣٥٢ / **وثالثها** : أن هؤلاء لهم العقاب والنكال، والخزي على ما يأتونه من الأعمال الخبيثة، فهذا يقتل، وهذا يعاقب، وهذا يقطع، وهذا يعذب ويحبس، هذا في العقوبات المشروعة، وأما العقوبات المقدرة فقوم أغرقوا، وقوم أهلكوا بأنواع العذاب، وقوم ابتلوا بالملوك الجائرة؛ تحريقاً ، وتغريقاً، وتمثيلاً، وخنقا، وعمى . والبهائم في أمان من ذلك .

ورابعها : أن لفسقة الجن والإنس في الآخرة من الأهوال والنار والعذاب والأغلال وغير ذلك مما أمنت منه البهائم، ما بين فضل البهائم على هؤلاء إذا أضيف إلى حال هؤلاء .

وخامسها : أن البهائم جميعها مؤمنة بالله ورسوله ﷺ ، مُسَبِّحة بحمده قانتة له، وقد قال النبي ﷺ: « إنه ليس على وجه الأرض شيء إلا وهو يعلم أني رسول الله، إلا فَسَقَة الجن والإنس» (١).

النَوعُ الثَّاني:

أنه يقال : مجموع الناس أفضل من مجموع الملائكة من غير توزيع الأفراد، وهذا على القول بتفضيل صالحي البشر على الملائكة فيه نظر ، لا علم لي بحقيقته، فإنا نفضل مجموع القرن الثاني على القرن الثالث، مع علمنا أن كثيراً من أهل القرن الثالث أفضل من كثير من أهل القرن الثاني.

٤/٣٥٣ / **النَّوعُ الثَّالث:**

أنا إذا قابلنا الفاضل بالفاضل، والذي يلي الفاضل بمن يليه من الجنس الآخر، فأي القبيلين أفضل؟ فهذا مع القول بتفضيل صالحي البشر يقال: لا شك أن المفضولين من الملائكة أفضل من كثير من البشر، وفاضل البشر أفضل من فاضليهم، لكن التفاوت الذي بين فاضل الطائفتين أكثر، والتفاوت بين مفضولهم هذا غير معلوم ، والله أعلم بخلقه.

(١) أحمد ٣/ ٣١٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٠ وقال:« رواه أحمد ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف».

النَّوعُ الرَّابع :

أن يقال : حقيقة الملك والطبيعة الملكية أفضل ، أم حقيقة البشر والطبيعة البشرية؟ وهذا كما أنا نعلم أن حقيقة الحي إذ هو حي أفضل من الميت، وحقيقة القوة والعلم من حيث هي كذلك أفضل من حقيقة الضعف والجهل. وحقيقة الذكر أفضل من حقيقة الأنثى، وحقيقة الفرس أفضل من حقيقة الحمار، وكان في نوع المفضول ما هو خير من كثير من أعيان النوع الفاضل؛ كالحمار والفأرة والفرس الزمن، والمرأة الصالحة مع الرجل الفاجر، والقوى الفاجر مع الضعيف الزَّمِن.

والوجه في انحصار القسمة في هذه الأنواع ـ فإن كثيراً من الكلمات المهمة تقع الفتيا فيها مختلفة والرأي مشتبها، لفقد التمييز والتفضيل ـ أن كل شيء إما أن نقيده من جهة الخصوص ، أو العموم، أو الإطلاق. فإذا قلت: بشر / وملك . وإما أن تريد هذا البشر ٤/٣٥٤
الواحد فيكون خاصاً ، أو جميع جنس البشر فيكون عاماً ، أو تريد البشر مطلقاً مجرداً عن قيد العموم، والخصوص، وضبطه القليل والكثير ، والنوع الأول في التفضيل عموماً وخصوصاً ، والثاني عمومًا ، والثالث خصوصاً ، والرابع في الحقيقة المطلقة المجردة.

فنقول حينئذ : المسألة على هذا الوجه لست أعلم فيها مقالة سابقة مفسرة، وربما ناظر بعض الناس على تفضيل الملك، وبعضهم على تفضيل البشر، وربما اشتبهت هذه المسألة بمسألة التفضيل بين الصالح وغيره.

لكن الذي سنح لي ـ والله أعلم بالصواب ـ أن حقيقة الملك أكمل وأرفع وحقيقة الإنسان أسهل وأجمع.

وتفسير ذلك: أنا إذا اعتبرنا الحقيقتين وصفاتهما النفسية ،والتبعية اللازمة، الغالبة الحياة، والعلم، والقدرة: في اللذات والشهوات، وجدنا أولاً خلق الملك أعظم صورة، ومحله أرفع، وحياته أشد، وعلمه أكثر، وقواه أشد، وطهارته ونزاهته أتم، ونيل مطالبه أيسر وأتم ،وهو عن المنافي والمضاد أبعد ، لكن تجد هذه الصفات للإنسان ـ بحسب حقيقته ـ منها أوفر حظًا ونصيبًا [1] من الحياة والخلق، والعلم والقدرة والطهارة، وغير ذلك.

وله أشياء ليست للملك من إدراكه دقيق الأشياء ـ حسا ، وعقلا ـ وتمتعه بما يدركه ببدنه وقلبه، وهو يأكل ويشرب وينكح، ويتمنى ، ويتغذى، / ويتفكر ، إلى غير ذلك من ٤/٣٥٥

(١) في المطبوعة : « حظ ونصيب» والصواب ما أثبتناه.

الأحوال التي لا يشاركه فيها الملك، لكن حظ الملك من القدر المشترك الذي بينهما أكثر، وما اشتركا فيه من الأمور أفضل بكثير مما اختص به الإنسان.

مثاله: مثل رجل معه مائة دينار، وآخر معه خمسون درهما، أو خمسون ديناراً ، أو خمسون فلساً ، وإذا كان الأمر كذلك ففصل الجواب كما سبق .

وإن أردت الإطلاق ، فالحقيقة الملكية بلوازمها أفضل من الحقيقة الإنسانية بلوازمها، هذا لا شك فيه، فإنما يلزم حقيقة الإنسان من حياة وحس ، وعلم وعمل، ونيل لذة وإدراك شهوة ، ليست بشيء . وإنما تعددت أصنافه إلى ما يشبه حقيقة الملك، كحال من علم من كل شيء طرفاً ليس بالكثير، إلى حال من أتقن العلم باللّه وبأسمائه وآياته، ولا يشبه حال من معه درهم، إلى حال من معه درة، ولا يشبه حال من يسوس الناس كلهم، إلى حال من يسوس إنسانا وفرسا.

وقد دل على هذا دلالة بينة قوله تعالى :﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾[الإسراء: ٧٠] ، فدل على أنهم لم يفضلوا على الجميع، وقوله :﴿ **مِّمَّن**﴾ للتبعيض. فإن قلت :هذا الاستدلال مفهوم للمخالف، وأنت مخالف لهذا ، منازع فيه.

٤/٣٥٦ / فيقال لك : تخصيص الكثير بالذكر لا يدل على مخالفة غيره بنفي ، ولا إثبات، وأيضا فإن مفهومه: أنهم لم يفضلوا على ما سوى الكثير ، فإذا لم يفضلوا فقد يساوون بهم،وقد يفضل أولئك عليهم، فإن الأحوال ثلاثة: إما أن يفضلوا على من بقى، أو يفضل أولئك عليهم، أو يساوون بهم.

قال: واختلاف الحقائق والذوات لابد أنها تؤثر في اختلاف الأحكام والصفات، وإذا اختلفت حقيقة البشر والملك، فلابد أن يكون أحد الحقيقتين أفضل، فإن كونهما متماثلتين متفاضلتين ممتنع .

وإذا ثبت أن أحدهما أفضل بهذه القضية المعقولة، وثبت عدم فضل البشر بتلك الكلمة الإلهية، ثبت فضل الملك، وهو المطلوب.

وقد ذكر جماعة من المنتسبين إلى السنة: أن الأنبياء وصالح البشر أفضل من الملائكة. وذهبت المعتزلة إلى تفضيل الملائكة على البشر، وأتباع الأشعري على قولين : منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يقطع فيهما بشيء.

وحكى عن بعض متأخريهم أنه مال إلى قول المعتزلة ، وربما حكى ذلك عن بعض من يدعى السنة ويواليها.

وذكر لي عن بعض من تكلم في أعمال القلوب أنه قال:أما الملائكة المدبرون للسموات

والأرض وما بينهما والموكلون ببني آدم، فهؤلاء أفضل من / هؤلاء الملائكة. وأما ٤/٣٥٧
الكَرُوبيُّون (١) الذين يرتفعون عن ذلك فلا أحد أفضل منهم، وربما خص بعضهم نبينا ﷺ.
واستثناؤه من عموم البشر، إما تفضيلاً على جميع أعيان الملائكة، أو على المدبرين منهم أمر العالم.

هذا ما بلغني من كلمات الآخرين في هذه المسألة ، وكنت أحسب أن القول فيها محدث حتى رأيتها أثرية سلفية صحابية، فانبعثت الهمة إلى تحقيق القول فيها، فقلنا حينئذ بما قاله السلف، فروى أبو يعلي الموصلي في «كتاب التفسير» المشهور له عن عبد اللّه ابن سلام ـ وكان عالماً بالكتاب الأول، والكتاب الثاني ؛ إذ كان كتابياً ، وقد شهد له النبي ﷺ بحسن الخاتمة، ووصية معاذ عند موته، وأنه أحد العلماء الأربعة الذين يبتغي العلم عندهم ـ قال: ما خلق اللّه خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ . الحديث عنه.

قلت: ولا جبرائيل، ولا ميكائيل؟ قال: يا بن أخي، أو تدري ما جبرائيل وميكائيل؟ إنما جبرائيل وميكائيل خلق مسخر، مثل :الشمس، والقمر، وما خلق اللّه ـ تعالى ـ خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ .

وروى عبد اللّه في «التفسير» وغيره عن مَعْمَر، عن زيد بن أسلم؛ أنه قال: قالت الملائكة: يا ربنا، جعلت لبني آدم الدنيا ، يأكلون فيها ويشربون ، فاجعل لنا الآخرة . فقال: «وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقتُ بيدي كَمَنْ قلت له كن فكان».

/ وكذلك قصة سجود الملائكة كلهم أجمعين لآدم، ولعن الممتنع عن السجود له، ٤/٣٥٨
وهذا تشريف وتكريم له.

وقد قال بعض الأغبياء: إن السجود إنما كان للّه وجعل آدم قبلة لهم، يسجدون إليه كما يسجد إلى الكعبة، وليس في هذا تفضيل له عليهم، كما أن السجود إلى الكعبة ليس فيه تفضيل للكعبة على المؤمن عند اللّه ،بل حرمة المؤمن عند اللّه أفضل من حرمتها، وقالوا : السجود لغير اللّه محرم، بل كفر.

والجواب : أن السجود كان لآدم بأمر اللّه وفرضه بإجماع من يسمع قوله ويدل على ذلك وجوه:

أحدها : قوله: لآدم، ولم يقل : إلى آدم. وكل حرف له معنى ، ومن التمييز في اللسان أن يقال: سجدت له، وسجدت إليه، كما قال تعالى :﴿**لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ [فصلت:٣٧] وقال : ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ**

(١) أي : المُقَرَّبون، من كَرَبَ بمعنى : دنا وقَرُب. انظر :النهاية ٤/ ١٦١.

مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ [1]﴾ [الرعد: ١٥].

وأجمع المسلمون على أن السجود لغير اللّه محرم، وأما الكعبة فقد كان النبي ﷺ يصلي إلى بيت المقدس، ثم صلى إلى الكعبة، وكان يصلى إلى عنزَة [2]، ولا يقال: لعنزة، وإلى عمود وشجرة، ولا يقال: لعمود ولا لشجرة، والساجد للشيء يخضع له بقلبه، ويخشع له بفؤاده، وأما الساجد إليه فإنما يولي وجهه وبدنه إليه ظاهراً، كما يولي
٤/٣٥٩ وجهه إلى بعض / النواحي إذا أمه، كما قال: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤، ١٥٠].

والثاني: أن آدم لو كان قبلة لم يمتنع إبليس من السجود، أو يزعم أنه خير منه؛ فإن القبلة قد تكون أحجاراً، وليس في ذلك تفضيل لها على المصلين إليها، وقد يصلي الرجل إلى عنزة وبعير، وإلى رجل، ولا يتوهم أنه مفضل بذلك، فمن أي شيء فر الشيطان؟ هذا هو العجب العجيب!!

والثالث: أنه لو جعل آدم قبلة في سجدة واحدة لكانت القبلة وبيت المقدس أفضل منه بآلاف كثيرة؛ إذ جعلت قبلة دائمة في جميع أنواع الصلوات، فهذه القصة الطويلة التي قد جعلت علماً له، ومن أفضل النعم عليه، وجاءت إلى العالم بأن اللّه رفعه بها، وامتن عليه، ليس فيها أكثر من أنه جعله كالكعبة في بعض الأوقات!! مع أن بعض ما أوتيه من الإيمان والعلم، والقرب من الرحمن أفضل بكثير من الكعبة، والكعبة إنما وضعت له ولذريته، أفيجعل من جسيم النعم عليه أو يشبه به في شيء نزرًا قليلاً [3] جداً؟! هذا ما لا يقوله عاقل.

وأما قولهم: لا يجوز السجود لغير اللّه، فيقال لهم: إن قيلت هذه الكلمة على الجملة فهي كلمة عامة، تنفي بعمومها جواز السجود لآدم، وقد دل دليل خاص على أنهم سجدوا له، والعام لا يعارض ما قابله من الخاص.

وثانيها: أن السجود لغير اللّه حرام علينا وعلى الملائكة. أما الأول فلا دليل وأما الثاني فما الحجة فيه؟

٤/٣٦٠ / **وثالثها**: أنه حرام أمر اللّه به، أو حرام لم يأمر به، والثاني حق ولا شفاء فيه، وأما الأول فكيف يمكن أن يحرم بعد أن أمر اللّه ـ تعالى ـ به؟

ورابعها: أبو يوسف وإخوته خروا له سجداً، ويقال: كانت تحيتهم، فكيف يقال:

---

(١) في المطبوعة: «ومن في الأرض» والصواب ما أثبتناه.

(٢) العَنَزَة: رُمَيح بين العصا والرُّمح. انظر: القاموس، مادة «عنز».

(٣) في المطبوعة: «نزر قليل» والصواب ما أثبتناه.

إن السجود حرام مطلقاً ؟ وقد كانت البهائم تسجد للنبي ﷺ ، والبهائم لا تعبد اللّه. فكيف يقال: يلزم من السجود لشيء عبادته؟ وقد قال النبي ﷺ:«ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعِظَمِ حقه عليها»[1] ومعلوم أنه لم يقل : لو كنت آمرا أحداً أن يعبد.

وسابعها [2] : وفيه التفسير أن يقال : أما الخضوع والقنوت بالقلوب والاعتراف بالربوبية والعبودية، فهذا لا يكون على الإطلاق إلا للّه ـ سبحانه وتعالى ـ وحده، وهو في غيره ممتنع باطل.

وأما السجود فشريعة من الشرائع؛ إذ أمرنا اللّه ـ تعالى ـ أن نسجد له، ولو أمرنا أن نسجد لأحد من خلقه غيره لسجدنا لذلك الغير ـ طاعة للّه عز وجل ـ إذ أحب أن نعظم من سجدنا له، ولو لم يفرض علينا السجود لم يجب البتة فعله، فسجود الملائكة لآدم عبادة للّه وطاعة له، وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم. وسجود أخوة يوسف له تحية وسلام، ألا ترى أن يوسف لو سجد لأبويه تحية لم يكره له .

/ ولم يأت أن آدم سجد للملائكة ، بل لم يؤمر آدم وبنوه بالسجود إلا للّه رب العالمين، ولعل ذلك ـ واللّه أعلم بحقائق الأمور ـ لأنهم أشرف الأنواع ،وهم صالحو بني آدم ليس فوقهم أحد يحسن السجود له إلا للّه رب العالمين، وهم أكفاء بعضهم لبعض، فليس لبعضهم مزية بقدر ما يصلح له السجود، ومن سواهم فقد سجد لهم من الملائكة للأب الأقوم، ومن البهائم للابن الأكرم. ٤/٣٦١

وأما قولهم : لم يسبق لآدم ما يوجب الإكرام له بالسجود، فلغو من القول، هذى به بعض من اعتزل الجماعة، فإن نعم اللّه ـ تعالى ـ وأياديه وآلاءه على عباده ليست بسبب منهم، ولو كانت بسبب منهم فهو المنعم بذلك السبب، فهو المنعم به ويشكرهم على نعمه، وهو ـ أيضاً ـ باطل على قاعدتهم، لا حاجة لنا إلى بيانه ههنا.

وقوله: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[الأعراف:٢٠٦] فإنه إن سلم أنه يفيد الحصر، فالقصد منه ـ واللّه أعلم ـ الفضل بينهم وبين البشر الذين يشركون بربهم ويعبدون غيره، فأخبرهم أن الملائكة لا تعبد غيره، ثم هذا عام وتلك الآية خاصة فيستثنى آدم، ثم يقال: السجود على ضربين: سجود عبادة محضة، وسجود تشريف . فأما الأول: فلا يكون إلا للّه، وأما الثاني: فلم قلت : إنه كذلك؟ والآية محمولة على الأول توفيقاً بين الدلائل .

---

(١) أبو داود في النكاح (٢١٤٠) ، والترمذي في الرضاع (١١٥٩) وقال: « حديث حسن غريب» ، وابن ماجه في النكاح (١٨٥٣)، وأحمد ٤/ ٣٨١.

(٢) هكذا بالأصل.

٤/٣٦٢ وأما **السؤال الثاني**، فروى عن بعض الأولين: أن الملائكة الذين / سجدوا لآدم ملائكة في الأرض فقط، لا ملائكة السموات. ومنهم من يقول: ملائكة السموات دون الكَرُوبِيِّين(١)، وانتحى ذلك بعض المتأخرين، واستنكر سجود الأعلين من الملائكة لآدم مع عدم التفاتهم إلى ما سوى اللّه، ورووا في ذلك: « إن مِن خَلْقِ اللّه خَلْقًا لا يدرون: أخُلِقَ آدم أم لا ؟».

ونزع بقوله: ﴿ **أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾ [ص: ٧٥] والعالون هم ملائكة السماء، وملائكة السماء لم يؤمروا بالسجود لآدم ، فاعلم أن هذه المقالة أولا ليس معها ما يوجب قبولها، لا مسموع ولا معقول ، إلا خواطر وسَوَانِح(٢)، ووساوس مادتها من عرش إبليس، يستفزهم بصوته ليرد عنهم النعمة التي حرص على ردها عن أبيهم قديماً، أو مقالة قد قالها من يقول الحق والباطل، لكن معنا ما يوجب ردها من وجوه:

أحدها : أنه خلاف ما عليه العامة من أهل العلم بالكتاب والسنة، وإذا كان لابد من التقليد فتقليدهم أولى.

وثانيها : أنه خلاف ظاهر الكتاب العزيز، وخلاف نصه، فإن الاسم المجموع المعرف بالألف واللام يوجب استيعاب الجنس ، قال تعالى : ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ** ﴾ [البقرة: ٣٤، الإسراء: ٦١، الكهف: ٥٠، طه: ١١٦] ، فسجود الملائكة يقتضى جميع الملائكة ، هذا مقتضى اللسان الذي نزل به القرآن، فالعدول عن موجب القول العام إلى الخصوص لابد له من دليل يصلح له، وهو معدوم.

٤/٣٦٣ / **وثالثها** : أنه قال : ﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** ﴾ [الحجر: ٣٠، ص: ٧٣] فلو لم يكن الاسم الأول يقتضى الاستيعاب والاستغراق، لكان توكيده بصيغة كل موجبة لذلك ومقتضية له، ثم لو لم يفد تلك الإفادة ، لكان قوله: ﴿**أَجْمَعُونَ**﴾ توكيداً وتحقيقاً بعد توكيد وتحقيق ، ومن نازع في موجب الأسماء العامة فإنه لا ينازع فيها بعد توكيدها بما يفيد العموم، بل إنما يجاء بصيغة التوكيد قطعاً لاحتمال الخصوص وأشباهه.

وقد بلغني عن بعض السلف أنه قال : ما ابتدع قوم بدعة إلا في القرآن ما يردها، ولكن لا يعلمون. فلعل قوله: ﴿**كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾ جيء به لزعم زاعم يقول: إنما سجد له بعض الملائكة لا كلهم، وكانت هذه الكلمة رداً لمقالة هؤلاء . ومن اختلج في سره وجه

---

(١) تقدم معناها آنفًا.

(٢) جمع السَّانح، وهو ما يعرض على الإنسان ، وأصله: من سنح لي الشيء إذا عرض، فإذا كان هذا الشيء ـ طائرًا وخلافه - يعرض من جهة اليمين سمى السانح وكان العرب يتيمنون به، وعكسه البارح. انظر: لسان العرب، مادة « سنح».

الخصوص بعد هذا التحقيق والتوكيل فليعز[1] نفسه في الاستدلال بالقرآن والفهم، فإنه لا يثق بشيء يؤخذ منه، ياليت شعري ! لو كانت الملائكة كلهم سجدوا وأراد اللّه أن يخبرنا بذلك، فأي كلمة أتم وأعم، أم يأتي قول يقال: أليس هذا من أبين البيان ؟

ورابعها: أن هذه الكلمة تكررت في القرآن ، وقال النبي ﷺ في حديث الشفاعة وأسجد لك ملائكته ، وكذلك في محاجة موسى وآدم [2]، ومن الناس من يقول : إن القول العام إذا قرن به الخاص وجب أن يقرن به البيان، فلا يجوز تأخيره عنه، لئلا يقع السامع في اعتقاد الجهل ؛ ولم يقترن بشيء من هذه الكلمات دليل تخصيص ، فوجب القطع بالعموم.

وقال آخرون ـ وهو الأصوب : يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب / لكن بعد ٤/٣٦٤
البحث عن دليل التخصيص ، واللّه أعلم. فيجب القول بالعموم، وإذا كانت القصة قد تكررت وليس فيها ما يدل على الخصوص فليس دعوى الخصوص فيها من البهتان.

وأما إنكارهم لسجود الكَروبِيِّين فليس بشيء؛ لأنهم سجدوا طاعة وعبادة لربهم، وزاد قائل : ذلك أنهم أفضل من آدم إذا ثبت أنهم لم يسجدوا، والحكايات المرسلة لا تقيم حقاً ولا تهدم باطلاً. وتفسيرهم﴿ **الْعَالِين** ﴾ بالكروبيين، قول في كتاب اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ بلا علم، ولا يعرف ذلك عن إمام متبع، ولا في اللفظ دليل عليه، وقيل : ﴿**أَستَكْبَرْتَ**﴾ أطلبت أن تكون كبيراً من هذا الوقت؟ أم كنت عالياً قبل ذلك؟ ولا حاجة بنا إلى تفسير كلام اللّه بآرائنا، واللّه أعلم بتفسيره.

وههنا سؤال ثالث وهو : أن السجود له، قد يكون الساجدون سجدوا له مع فضلهم عليه، فإن الفاضل قد يخدم المفضول، فنقول :

اعلم أن منفعة الأعلى للأدنى غير مستنكرة، فإن سيد القوم خادمهم، فالنبي ﷺ أفضل الناس، وأنفع الناس للناس ، لكن منفعته في الحقيقة يعود إليه ثوابها ، وتمام التقرب إلى اللّه يحصل بنفع خلقه، فهذا يصلح أن يورد على من احتج بتدبيرهم لنا، ففضلهم علينا لكثرة منفعتهم لنا، وأما نفس السجود فلا منفعة فيه للمسجود له إلا مجرد تعظيم وتشريف وتكريم، ولا يصلح البتة أن يكون من هو أفضل أسفل ممن دونه وتحته في الشرف، والمحقق ، لا المتوهم ، فافهم هذا فإن تحته سرا [3].

---

(١) في المطبوعة : «فاليعز» والصواب ما أثبتناه.

(٢) سبق تخريجه ص ٢١٤ .

(٣) في المطبوعة :«سر» والصواب ما أثبتناه.

٤/٣٦٥ / **الدليل الثاني**: قوله قصصاً عن إبليس: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] فإن هذا نص في تكريم آدم على إبليس؛ إذ أمر بالسجود له.

الدليل الثالث: أن اللّه ـ تعالى ـ خلق آدم بيده، كما ذكر ذلك في الكتاب والسنة، والملائكة لم يخلقهم بيده بل بكلمته، وهذا يقوله جميع من يدعى الإسلام ـ سنيهم ومبتدعهم ـ بل وعليه أهل الكتاب، فإن الناس في يدي اللّه على ثلاثة أقوال:

أما أهل السنة فيقولون: يدا اللّه صفتان من صفات ذاته، حكمها حكم جميع صفاته؛ من حياته وعلمه، وقدرته وإرادته، وكلامه. فيثبتون جميع صفاته التي وصف بها نفسه، ووصفه بها أنبياؤه، وإن شاركت أسماء صفاته أسماء صفات غيره. كما أن له أسماء قد يسمى بها غيره، مثل: رؤوف، رحيم، عليم سميع، بصير، حليم، صبور، شكور، قدير، مؤمن، علي، عظيم، كبير، مع نفي المشابهة في الحقيقة والمماثلة، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، جمعت هذه الآية بين الإثبات والتنزيه، ونسبة صفاته إليه كنسبة خلقه إليه، والنسبة والإضافة تشابه النسبة والإضافة.

ومن هذا الوجه جاء الاشتراك في أسمائه وأسماء صفاته، كما شبهت الرؤية برؤية الشمس والقمر، تشبيها للرؤية لا للمرئى، كما ضرب مثله مع عباده المملوكين كمثل بعض
٤/٣٦٦ خلقه مع مملوكيهم، وله المثل الأعلى في السموات، فتدبر / هذا فإنه مَجْلاة شُبْهَة ومَصْفَاة كَدَر، فجميع ما نسمعه، وينسب إليه، ويضاف من الأسماء والصفات، هو كما يليق باللّه، ويصلح لذاته.

والفريقان الآخران ـ أهل التشبيه والتمثيل: منهم من يقول: يد كيدي ـ تعالى اللّه عن ذلك ـ وأهل النفي والتعطيل يقولون: اليدان هما: النعمتان والقدرتان، واللّه أكبر كبيراً.

وبكل حال، اتفق هؤلاء كلهم على أن لآدم فضيلة ومزية ليست لغيره؛ إذ خلقه بيده.

الوجه الثالث: أن ذلك معدود في النعم التي أنعم اللّه بها على آدم حين قال له موسى: «خلقك اللّه بيده» (١). وكذلك يقال له يوم القيامة، وإنما ذكروا ذلك له في النعم التي خصه اللّه بها من بين المخلوقين دون الذي شورك فيها. فهذا بيان واضح دليل على فضله على سائر الخلق، كما ذكر زيد بن أسلم أن اللّه ـ تعالى ـ قال للملائكة: «لا أجعل صالح ذرية من خَلَقْتُ بِيَدَيّ كمن قُلْتُ له كن فكان»(٢).

---

(١) مسلم فى القدر (٢٦٥٢ / ١٥) .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦١٧٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٧ وقال: « رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو كذاب متروك، وفي سند الأوسط طلحة ابن زيد وهو كذاب أيضًا».

الدليل الرابع: ما احتج به بعض أصحابنا على تفضيل الأنبياء على الملائكة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقوله: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] واسم ﴿الْعَالَمِينَ﴾ يتناول الملائكة والجن والإنس، وفيه نظر؛ لأن أصناف العالمين قد يراد به / جميع أصناف الخلق كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ، وقد يراد به الآدميون فقط على اختلاف أصنافهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥] ، ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] وهم كانوا لا يأتون البهائم ولا الجن. ٤/٣٦٧

وقد يراد بالعالمين أهل زمن واحد، كما في قوله: ﴿اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

فقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ الآية، تحتمل جميع أصناف الخلق، ويحتمل أن المراد بنو آدم فقط. وللمحتج بها أن يقول: اسم ﴿الْعَالَمِينَ﴾ عام لجميع أصناف المخلوقات التي بها يعلم اللّه، وهي آيات له ودلالات عليه، لاسيما أولو العلم منهم، مثل الملائكة، فيجب إجراء الاسم على عمومه إلا إذا قام دليل يوجب الخصوص.

وقد احتج أيضاً بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ الآية [الإسراء: ٧٠]. وهو دليل ضعيف بل هو بالضد كما قررناه.

الدليل الخامس: قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ، وفيها دليل على تفضيل الخليفة من وجهين: أولهما: أن الخليفة يفضل على من هو خليفة عليه، وقد كان في الأرض ملائكة، وهذا غايته أن يفضل على من في الأرض من الملائكة. وثانيهما: أن الملائكة طلبت من اللّه ـ تعالى ـ أن يكون / الاستخلاف فيهم، والخليفة منهم، حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ الآية [البقرة: ٣٠]. فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها وغبطوا صاحبها. ٤/٣٦٨

الدليل السابع(١): تفضيل بني آدم عليهم بالعلم حين سألهم اللّه ـ عز وجل ـ عن علم الأسماء فلم يجيبوه؛ واعترفوا أنهم لا يحسنونها فأنبأهم آدم بذلك، وقد قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

والدليل الثامن(٢): وهو أول الأحاديث ما رواه حماد بن سلمة عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « لَزَوَال الدنيا على اللّه أهون من قتل رجل مؤمن،

(١، ٢) هكذا بالأصل.

والمؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده»[1].

وهذا نص في أن المؤمنين أكرم على الله من الملائكة المقربين.

ثم ذكر ما رواه الخلال عن أبي هريرة: خطبنا رسول الله ﷺ، وذكر كلاماً قال في آخره: «ادْنُو، ووَسِّعوا لمن خلفكم». فدنا الناس وانضم بعضهم إلى بعض. فقال رجل: أنوسع للملائكة أو للناس؟ قال: «للملائكة، إنهم إذا كانوا معكم لم يكونوا من بين أيديكم ولا من خلفكم، ولكن عن أيمانكم وشمائلكم». قالوا: ولم لا يكونون من بين أيدينا ومن خلفنا؟ أمن فضلنا عليهم أو من فضلهم علينا؟ قال: «نعم، أنتم أفضل من الملائكة».

٤/٣٦٩ / رواه الخلال، وفيه القطع بفضل البشر على الملائكة، لكن لا يعرف حال إسناده، فهو موقوف على صحة إسناده.

وروى عبد الله بن أحمد في «كتاب السنة» عن عروة بن رُوَيْم قال: أخبرني الأنصاري عن النبي ﷺ أن الملائكة قالوا: ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم، فجعلتهم يأكلون ويشربون، ويلبسون ويأتون النساء، ويركبون الدواب، وينامون ويستريحون، ولم تجعل لنا شيئًا من ذلك، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة.

وذكر الحديث مرفوعاً ـ كما تقدم موقوفاً ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه. وزيد بن أسلم زيد في علمه وفقهه وورعه، حتى إن كان على بن الحسين ليدع مجالس قومه ويأتي مجلسه، فلامه الزهري في ذلك فقال: إنما يجلس حيث ينتفع، أو قال: يجد صلاح قلبه.

وقد كان يحضر مجلسه نحو أربعمائة طالب للعلم، أدنى خصلة فيهم الباذل ما في يده من الدنيا، ولا يستأثر بعضهم على بعض، فلا يقول مثل هذا القول إلا عن . . .[2] بين والكذب على الله ـ عز وجل ـ أعظم من الكذب على رسوله.

وأقل ما في هذه الآثار أن السلف الأولين كانوا يتناقلون بينهم: أن صالحي البشر ٤/٣٧٠ أفضل من الملائكة من غير نكير منهم لذلك، ولم يخالف أحد / منهم في ذلك، إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها، وتفرق الآراء، فقد كان ذلك كالمستقر عندهم.

الدليل الحادي عشر[3]: أحاديث المباهاة مثل: أن الله ـ تعالى ـ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا[4] وعشية عرفة فيباهي ملائكته بالحاج[5]، وكذلك يباهي بهم المصلين، يقول: «انظروا إلى عبادي، قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى»، وكلا الحديثين في

---

(١) الطبراني في الأوسط (٦٦٣٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٨٧ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو المِهْزَم وهو متروك».

(٢) بياض بالأصل.

(٣) هكذا بالأصل.

(٤) البخاري في التهجد (١١٤٥).

(٥) مسلم في الحج (١٣٤٨ / ٤٣٦).

صحيح مسلم، والمباهاة لا تكون إلا بالأفاضل.

فإن قيل :هذه الأخبار رواها آحاد غير مشهورين، ولا هي بتلك الشهرة ، فلا توجب علماً ، والمسألة علمية.

قلنا: أولا: من قال :إن المطلق في هذه القضية اليقين الذي لا يمكن نقيضه، بل يكفي فيها الظن الغالب، وهو حاصل .

ثم ما المراد بقوله : علمية؟ أتريد أنه لا علم ؟ فهذا مسلم. ولكن كل عقل راجح يستند إلى دليل فإنه علم، وإن كان فرقة من الناس لا يسمون علماً إلا ما كان يقيناً لا يقبل الانتقاض ، وقد قال تعالى :﴿**فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ**﴾ [الممتحنة : ١٠] وقد استوفي القول في ذلك في غير هذا الموضع، فإن أريد علمية؛ لأن المطلوب الاستيقان ، فهذا لغو من القول لا دليل عليه، ولو كان حقاً لوجب الإمساك عن الكلام في كل أمر غير علمي إلا باليقين، وهو تهافت بين .

ثم نقول : هي بمجموعها وانضمام بعضها إلى بعض ومجيئها من طرق / متباينة ، قد ٤/٣٧١
توجب اليقين لأولى الخبرة بعلم الإسناد، وذوي البصيرة بمعرفة الحديث ورجاله، فإن هذا علم اختصوا به كما اختص كل قوم بعلم، وليس من لوازم حصول العلم لهم حصوله لغيرهم، إلا أن يعلموا ما علموا مما به يميزون بين صحيح الحديث وضعيفه.

والعلوم ـ على اختلاف أصنافها وتباين صفاتها ـ لا توجب اشتراك العقلاء فيها، لاسيما السمعيات الخبريات ، وإن زعم فرقة من أولى الجدل أن الضروريات يجب الاشتراك فيها، فإن هذا حق في بعض الضروريات، لا في جميعها، مع تجويزنا عدم الاشتراك في شيء من الضروريات، لكن جرت سنة الاشتراك بوقوع الاشتراك في بعضها. فغلط أقوام فجعلوا وجوب الاشتراك في جميعها ، فجحدوا كثيراً من العلم الذي اختص به غيرهم.

ثم نقول : لو فرضنا أنها لا تفيد العلم وإنما تفيد ظناً غالباً، أو أن المطلوب هو الاستيقان ، فنقول :المطلوب حاصل بغير هذه الأحاديث، وإنما هي مؤكدة مؤيدة لتجتمع أجناس الأدلة على هذه المقالة.

الدليل الثاني عشر [١] : قد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة ، وتروى على رؤوس الناس، ولو كان هذا منكراً لأنكروه، فدل على اعتقادهم ذلك .

---

(١) هكذا بالأصل.

٤/٣٧٢ وهذا إن لم يفد اليقين القاطع، فإن بعض الظن لم يقصر عن القوى/ الغالب، وربما اختلف ذلك باختلاف الناس واختلاف أحوالهم.

الدليل الثالث عشر [1]: وهو البحث الكاشف عن حقيقة المسألة ـ وهو أن نقول : التفضيل إذا وقع بين شيئين فلا بد من معرفة الفضيلة ما هي؟ ،ثم ينظر أيهما أولى بها ؟

وأيضا ، فإنا إنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كملوا ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى ، وسكنوا الدرجات العلى، وحياهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه، وتجلى لهم، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم.

فلينظر الباحث في هذا الأمر ، فإن أكثر الغالطين لما نظروا في الصنفين رأوا الملائكة بعين التمام والكمال ، ونظروا الآدمي وهو في هذه الحياة الخسيسة الْكَدِرَة، التي لا تزن عند اللّه جناح بعوضة وليس هذا بالإنصاف .

فأقول : فضل أحد الذاتين على الأخرى إنما هو بقربها من اللّه ـ تعالى ـ ومن مزيد اصطفائه وفضل اجتبائه لنا، وإن كنا نحن لا ندرك حقيقة ذلك .

هذا على سبيل الإجمال، وعلى حسب الأمور التي هي في نفسها خير محض، وكمال صرف، مثل: الحياة والعلم والقدرة، والزكاة والطهارة، والطيب والبراءة من النقائص والعيوب، فنتكلم على الفضلين:

٤/٣٧٣ **أما الأول** : فإن جنة عدن خلقها اللّه ـ تعالى ـ وغرسها بيده، ولم يطلع على / ما فيها ملكاً مقربا، ولا نبيًا مرسلاً، وقال لها: تكلمي، فقالت: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المؤمنون: ١] . جاء ذلك في أحاديث عديدة ، وأنه ينظر إليها في كل سحر ، وهي داره ، فهذه كرامة اللّه تعالى لعباده المؤمنين، التي لم يطلع عليها أحد من الملائكة. ومعلوم أن الأعلين مطلعون على الأسفلين من غير عكس ، ولا يقال: هذا في حق المرسلين، فإنها إنما بنيت لهم، لكن لم يبلغوا بعد إبان سكناها وإنما هي معدة لهم، فإنهم ذاهبون إلى كمال، ومنتقلون إلى علو وارتفاع ، وهو جزاؤهم وثوابهم.

وأما الملائكة فإن حالهم اليوم شبيهة بحالهم بعد ذلك، فإن ثوابهم متصل وليست الجنة مخلوقة، وتصديق هذا قوله تعالى :﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ [السجدة: ١٧] .

فحقيقة ما أعده اللّه لأوليائه غيب عن الملائكة، وقد غيب عنهم أولاً حال آدم في

---

(١) هكذا بالأصل.

النشأة الأولى وغيرها.

وفضل عباد اللّه الصالحين يبين فضل الواحد من نوعهم، فالواحد من نوعهم إذا ثبت فضلهم على جميع الأعيان والأشخاص، ثبت فضل نوعهم على جميع الأنواع؛ إذ من الممتنع ارتفاع شخص من أشخاص النوع المفضول إلى أن يفوق جميع الأشخاص والأنواع الفاضلة ، فإن هذا تبديل الحقائق وقلب الأعيان عن صفاتها النفسية، لكن ربما فاق بعض أشخاص النوع الفاضل مع /امتياز ذلك عليه بفضل نوعه وحقيقته، كما أن في بعض ٤/٣٧٤
الخيل ما هو خير من بعض الخيل ، ولا يكون خيراً من جميع الخيل.

إذا تبين هذا، فقد حدَّثَ العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون: أن محمداً رسول اللّه ﷺ يجلسه ربه على العرش معه.

روى ذلك محمد بن فُضَيل، عن ليث، عن مجاهد ، في تفسير: ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [الإسراء:٧٩] وذكر ذلك من وجوه أخرى مرفوعة وغير مرفوعة. قال ابن جرير : وهذا ليس مناقضاً لما استفاضت به الأحاديث من أن المقام المحمود هو الشفاعة، باتفاق الأئمة من جميع من ينتحل الإسلام ويدعيه، لا يقول: إن إجلاسه على العرش منكر ـ وإنما أنكره بعض الجهمية ـ ولا ذكره في تفسير الآية منكر ، وإذا ثبت فضل فاضلنا على فاضلهم ثبت فضل النوع على النوع ـ أعنى صالحنا عليهم.

وأما الذوات ، فإن ذات آدم خلقها اللّه بيده،وخلقها اللّه على صورته ونفخ فيه من روحه، ولم يثبت هذا لشيء من الذوات ، وهذا بحر يغرق فيه السابح ، لا يخوضه إلا كل مؤيد بنور الهداية، وإلا وقع إما في تمثيل ، أو في تعطيل . فليكن ذو اللب على بصيرة أن وراء علمه مرماة بعيدة ، وفوق كل ذي علم عليم. وليوقن كل الإيقان بأن ما جاءت به الآثار النبوية حق ـ ظاهراً وباطناً ـ وإن قصر عنه عقله ولم يبلغه علمه ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾[الذاريات:٢٣] فلا تلجَنَّ باب إنكار ، ورد وإمساك وإغماض ـ ردا /لظاهره وتعجباً من باطنه ـ حفظاً لقواعدك التي كتبتها بقواك ٤/٣٧٥
وضبطتها بأصولك التي عقلتك عن جَنَاب مولاك.

إياك مما يخالف المتقدمين من التنزيه وتَوَقّ التمثيل والتشبيه، ولعمري إن هذا هو الصراط المستقيم، الذي هو أَحَدَّ من السيف، وأدق من الشعر، ومن لم يجعل اللّه له نوراً فما له من نور.

وأما الصفات التي تتفاضل ،فمن ذلك الحياة السرمدية والبقاء الأبدي في الدار الآخرة وليس للملك أكثر من هذا ، وإن كانت حياتنا هذه منغوصة بالموت فقد أسلفت أن

التفضيل إنما يقع بعد كمال الحقيقتين ، حتى لا يبقى إلا البقاء وغير ذلك من العلم الذي امتازت به الملائكة.

فنقول : غير منكر اختصاص كل قبيل من العلم بما ليس للآخر ، فإن الوحي للرسل على أنحاء ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]، فبين أن الكلام للبشر على ثلاثة أوجه: منها واحد يكون بتوسط الملك.

ووجهان آخران ليس للملك فيهما وحي ، وأين الملك من ليلة المعراج، ويوم الطور، وتعليم الأسماء وأضعاف ذلك؟

ولو ثبت أن علم البشر في الدنيا لا يكون إلا على أيدى الملائكة ـ وهو واللّه باطل ـ فكيف يصنعون بيوم القيامة؟! وقد قال النبي ﷺ: / «فيفتح اللّه عليَّ من محامده والثناء عليه بأشياء يلهمنيها، لم يفتحها على أحد قبلي»(١). ٤/٣٧٦

وإذا تبين هذا ، أن العلم مقسوم من الله، وليس كما زعم هذا الغبي بأنه لا يكون إلا بأيدي الملائكة على الإطلاق ، وهو قول بلا علم، بل الذي يدل عليه القرآن أن اللّه ـ تعالى ـ اختص آدم بعلم لم يكن عند الملائكة، وهو علم الأسماء الذي هو أشرف العلوم، وحكم بفضله عليهم لمزيد العلم، فأين العدول عن هذا الموضع إلى بنيات الطريق؟ ومنها القدرة.

وزعم بعضهم أن الملك أقوى وأقدر، وذكر قصة جبرائيل بأنه شديد القوى، وأنه حمل قرية قوم لوط على ريشة من جناحه، فقد آتى اللّه بعض عباده أعظم من ذلك، فأغرق جميع أهل الأرض بدعوة نوح، وقال النبي ﷺ :«إن من عباد اللّه من لو أقسم على اللّه لأبَرَّهُ»(٢) ،ورُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ مدفوع بالأبواب لو أقسم على اللّه لأبَرَّهُ (٣)! وهذا عام في كل الأشياء ، وجاء تفسير ذلك في آثار: إن من عباد اللّه من لو أقسم على اللّه أن يزيل جبلاً ، أو الجبال عن أماكنها لأزالها، وألا يقيم القيامة لما أقامها، وهذا مبالغة.

ولا يقال: إن ذلك يفضل بقوة خلقت فيه، وهذا بدعوة يدعوها؛ لأنهما في الحقيقة يؤولان إلى واحد ، هو مقصود القدرة ومطلوب القوة، وما من /أجله يفضل القوى على الضعيف،ثم هب أن هذا في الدنيا فكيف تصنعون في الآخرة ؟ وقد جاء في الأثر : «يا عبدي، أنا أقول للشيء كن فيكون،أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون،يا عبدي، أنا الحي الذي لا يموت ، أطعني أجعلك حياً لا تموت» ، وفي أثر: «أن المؤمن تأتيه ٤/٣٧٧

(١) البخارى فى التفسير (٤٧١٢) . (٢) البخارى فى الصلح (٢٧٠٣) .
(٣) مسلم فى البر والصلة (٢٦٢٢ / ١٣٨) .

التُّحَفُ من اللّه: من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت» فهذه غاية ليس وراءها مرمى، كيف لا، وهو باللّه يسمع، وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، فلا يقوم لقوته قوة؟!

وأما الطهارة والنزاهة، والتقديس والبراءة عن النقائص والمعائب، والطاعة التامة الخاصة للّه، التي ليس معها معصية ولا سهو ولا غفلة، وإنما أفعالهم وأقوالهم على وفق الأمر، فقد قال قائل: من أين للبشر هذه الصفات؟ وهذه الصفات على الحقيقة هي أسباب الفضل، كما قيل: لا أعدل بالسلامة شيئاً. فالجواب من وجوه:

أحدها: أنا إذا نظرنا إلى هذه الأحوال في الآخرة، كانت في الآخرة للمؤمنين على أكمل حال وأتم وجه، وقد قدمنا أن الكلام ليس في تفضيلهم في هذه الحياة فقط، بل عند الكمال والتمام والاستقرار في دار الحيوان، وفيه وجه قاطع لكل ما كان من جنس هذا الكلام، فأين هم من أقوام تكون وجوههم مثل القمر ومثل الشمس، لا يبولون ولا يتمخطون، ولا يبصقون، ما فيهم ذرة من العيب ولا من النقص؟!

الوجه الثاني: أن هذا بعينه هو الدليل على فضل الآدمي، والملائكة / مخلوقون على ٤/٣٧٨
طريقة واحدة، وصفة لازمة، لا سبيل إلى انفكاكهم عنها، والبشر بخلاف ذلك.

الوجه الثالث: أن ما يقع من صالحي البشر من الزلات والهفوات ترفع لهم به الدرجات، وتبدل لهم السيئات حسنات، فإن اللّه يحب التوابين ويحب المتطهرين، ومنهم من يعمل سيئة تكون سبب دخول الجنة، ولو لم يكن العفو أحب إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه، وكذلك فرحه بتوبة عبيده، وضحكه من علم العبد أنه لا يغفر الذنوب إلا اللّه، فافهم هذا فإنه من أسرار الربوبية، وبه ينكشف سبب مواقعة المقربين الذنوب.

الوجه الرابع: ما روى: «أن الملائكة لما استعظمت خطايا بني آدم ألقى اللّه ـ تعالى ـ على بعضهم الشهوة فواقعوا الخطيئة»(١)، وهو احتجاج من اللّه ـ تعالى ـ على الملائكة، وأما العبادة فقد قالوا: إن الملائكة دائمو العبادة والتسبيح، ومنهم قيام لا يقعدون، وقعود لا يقومون، وركوع لا يسجدون، وسجود لا يركعون ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٠].

والجواب: أن الفضل بنفس العمل وجودته، لا بقدره وكثرته، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الكهف: ٧]، وقال: ﴿**إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾ [الكهف: ٣٠]، ورب تسبيحة من إنسان أفضل من ملء الأرض من
عمل غيره، وكان إدريس يرفع له في اليوم مثل عمل جميع أهل / الأرض، وإن الرجلين ٤/٣٧٩

(١) ابن جرير ١/ ٣٦٣.

ليكونان في الصف وأجر ما بين صلاتهما كما بين السماء والأرض.

وقد روى : «أن أنينَ المذنبين أحب إليَّ من زَجَل المسبحين» .

وقد قالوا : إن علماء الآدميين مع وجود المنافى والمضاد أحسن وأفضل، ثم هم في الحياة الدنيا وفي الآخرة يلهمون التسبيح، كما يلهمون النَّفَسَ، وأما النفع المتعدى ، والنفع للخلق ، وتدبير العالم ، فقد قالوا :هم تجري أرزاق العباد على أيديهم، وينزلون بالعلوم والوحي ، ويحفظون ويمسكون وغير ذلك من أفعال الملائكة.

والجواب: أن صالح البشر لهم مثل ذلك وأكثر منه، ويكفيك من ذلك شفاعة الشافع المشفع في المذنبين، وشفاعته في البشر كي يحاسبوا ، وشفاعته في أهل الجنة حتى يدخلوا الجنة. ثم بعد ذلك تقع شفاعة الملائكة، وأين هم من قوله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ؟ وأين هم من الذين :﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾[الحشر:٩] ؟ وأين هم ممن يدعون إلى الهدى ودين الحق؛ ومن سَنَّ سُنَّة حسنة؟ وأين هم من قوله ﷺ :«إن من أمتي من يشفع في أكثر من ربيعة ومُضَر»(١)؟ وأين هم من الأقطاب، والأوتاد ، والأغواث، والأبدال، والنجباء؟(٢).

٤/٣٨٠ فهذا ـ هداك اللّه ـ وجه التفضيل بالأسباب المعلومة، ذكرنا منه أنموذجاً / نهجنا به السبيل، وفتحنا به الباب إلى درك فضائل الصالحين، من تدبر ذلك، وأوتى منه حظاً رأى وراءَ ذلك ما لا يحصيه إلا اللّه، وإنما عدل عن ذلك قوم لم يكن لهم من القول والعلم إلا ظاهره، ولا من الحقائق إلا رسومها، فوقعوا في بدع وشبهات، وتاهوا في مواقف ومجازات، وها نحن نذكر ما احتجوا به.

الحجة الأولى: قوله تعالى:﴿ **لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [النساء:١٧٢]، والذي يريد إثبات ذل الأعاظم، وانقياد الأكابر، إنما يبدأ بالأدنى فالأدنى مترقياً إلى الأعلى فالأعلى، ليرقى المخاطب في فهم عظمة من انقيد له، وأطيع درجة درجة، وإلا فلو فوجئ بانقياد الأعظم ابتداء، لما حصل تبين مراتب العظمة، ولوقع ذكر الأدنى بعد ذلك ضائعاً، بل يكون رجوعاً ونقصاً.

ولهذا جرت فطرة الخلق أن يقال: فلان لا يأتيني، وفلان يأتيني ، أي كيف يستنكف عن الإتيان إلى ؟ وفلان أكرم منه وأعظم ، وهو يأتيني ، ولا يقال :لا يأبي فلان أن يكرمك، ولا من هو فوقه. فالانتقال من المسيح إلى الملائكة دليل على فضلهم، كيف

(١) أحمد ٤/٢١٢، وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٨٤ ، وقال: « رواه أحمد ورجاله ثقات».
(٢) هكذا بالأصل.

وقد نعتوا بالقرب الذي هو عين الفضائل؟!

والجواب : زعم القاضي أن هذا ليس من عطف الأعلى على الأدنى ، وإنما هو عطف ساذج. قال : وذلك أن قوماً عبدوا المسيح وزعموا أنه ابن اللّه ـ سبحانه ـ وقوماً عبدوا الملائكة وزعموا أنها بنات اللّه، كما حكى اللّه ـ تعالى ـ / عن الفريقين فبين اللّه ـ تعالى ـ ٤/٣٨١
في هذه أن هؤلاء الذين عبدتموهم من دوني هم عبادي لن يستنكفوا عن عبادتي، وأنهما لو استنكفا عن عبادتي لعذبتهما عذاباً أليما، والمسيح هو الظاهر وهو من نوع البشر، وهذا الكلام فيه نظر، واللّه أعلم بحقيقته.

ثم نقول : إن كان هذا هو المراد فلا كلام، وإن أريد أن الانتقال من الأدنى إلى الأعلى، فاعلم ـ نور اللّه قلبك وشرح صدرك للإسلام ـ أن للملائكة خصائص ليست للبشر، لا سيما في الدنيا. هذا ما لا يستريب فيه لبيب، أنهم اليوم على مكان، وأقرب إلى اللّه، وأظهر جسوماً، وأعظم خلقاً، وأجمل صوراً، وأطول أعماراً ، وأيمن آثاراً ، إلى غير ذلك من الخصال الحميدة، مما نعلمه ومما لا نعلمه.

وللبشر ـ أيضاً ـ خصائص ومزايا، لكن الكلام في مجموع كل واحدة من المزيتين أيهما أفضل ؟ هذا طريق ممهد لهذه الآية وما بعدها. وهو وراء ذلك، فحيث جرى ما يوجب تفضيل الملك فلما تميزوا به، واختصوا به من الأمور التي لا تنبغي لمن دونهم فيها أن يتفضل عليهم فيما هو من أسبابها.

وذلك أن المسيح لو فرض استنكافه عن عبادة اللّه ، فإنما هو لما أيده اللّه من الآيات ، كما أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى وغير ذلك؛ ولأنه خرج في خلقه عن بني آدم، وفي عزوفه عن الدنيا، وما فيها: أعطى الزهد. وما من صفة من هذه الصفات إلا والملائكة أظهر منه فيها، فإنهم كلهم خلقوا من / غير أبوين ومن غير أم، وقد كان فرس جبريل ٤/٣٨٢
يحيى به التراب الذي يمر عليه ؛وعلم ما يدخر العباد في بيوتهم على الملائكة سهل .

وفي حديث أبرص، وأقرع ، وأعمى : «أن الملك مسح عليهم فبرؤوا »(١) فهذه الأمور التي من أجلها عبد المسيح ، وجعل ابن اللّه ـ عز وجل ـ للملائكة منها أوفر نصيب، وأعلى منها ،وأعظم مما للمسيح ، وهم لا يستنكفون عن عبادته، فهو أحق خلق ألا يستنكف، وأما القرب من اللّه والزلفى لديه فأمور وراء هذه الآيات. وأيضا، فأقصى ما فيها تفضيلهم على المسيح؛ إذ هو في هذه الحياة الدنيا، وأما إذا استقر في الآخرة وكان

(١) البخاري في الأنبياء (٣٤٦٤)، ومسلم في الزهد (٢٩٦٤/ ١٠)، كلاهما عن أبي هريرة.

ما كان مما لست أذكر، فمن أين يقال: إنهم هناك أفضل منه؟

الحجة الثانية : قوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **قُل لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**﴾ [الأنعام: ٥٠]ومثله في هود، فالاحتجاج في هذا من وجوه:

أحدها: أنه قرن استقرار خزائنه، وعلم الغيب بنفي القول بأنه ملك، وسلبها عن نفسه في نسق واحد، فإذا كان حال من يعلم الغيب، ويقدر على الخزائن أفضل من حال من لا يكون كذلك، وجب أن يكون حال الملك أفضل من حال من ليس بملك، وإن كان نبيا كما في الآية.

وثانيها : أنه إنما نفى عن نفسه حالا أعظم من حاله الثابتة، ولم ينف حالاً / دون ٤/٣٨٣
حاله، لأن من اتصف بالأعلى فهو على ما دونه أقدر، فدل على أن حال الملك أفضل من حاله أن يكون ملكاً وهو المطلوب.

وثالثها: ما ذكر القاضي أنه لولا ما استقر في نفوس المخاطبين من أن الملك أعظم؛ لما حسن مواجهتهم بسلب شيء هو دون مرتبته، وهذا الاعتقاد الذي كان في نفوس المخاطبين أمر قرروا عليه، ولم ينكره عليهم، فثبت أنه حق .

والجواب من وجوه:

أحدها : أنه نفى أن يكون عالماً بالغيب وعنده خزائن اللّه، ونفى أن يكون ملكاً لا يأكل ولا يشرب ولا يتمتع، وإذا نفى ذلك عن نفسه لم يجب أن يكون الملك أفضل منه، ألا ترى أنه لو قال: ولا أنا كاتب، ولا أنا قارئ، لم يدل على أن الكاتب والقارئ أفضل ممن ليس بكاتب ولا قارئ ، فلم يكن في الآية حجة.

وأيضا، ما قال القاضي: إنهم طلبوا صفات الألوهية، وهي العلم والقدرة والغنى: وهي أن يكون عالماً بكل شيء ، قديراً على كل شيء، غنياً عن كل شيء، فسلب عن نفسه صفات الألوهية، ولهذا قالوا :﴿**مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: ٧]، وقال تعالى: محتجاً عنه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: ٢٠]، فكأنهم أرادوا منه صفة الملائكة أن يكون
٤/٣٨٤ / متلبساً بها، فإن الملائكة صُمَّد لا يأكلون ولا يشربون، والبشر لهم أجواف يأكلون ويشربون؛ فكان الأمر إلى هذه الصفة، وهذا بين إن شاء اللّه.

وثانيها : أن الآخر أكمل في أمر من الأمور، فنفى عن نفسه حال الملك في ذلك، ولم يلزم أن يكون له فضيلة يمتاز بها، وقد تقدم مثل هذا فيما ذكر من حال الملك وعظمته، وأنه ليس للبشر من نوعه مثله، ولكن لِمَ لمْ تقل: من غير نوعه للبشر ما هو

أفضل منه؟

ولهذا إذا سئل الإنسان عما يعجز عنه، قد يقول: لست بملك، وإن كان المؤمن أفضل من حال الجن، والملك من الملوك.

وثالثها: أن أقصى ما فيه تفضيل الملك في تلك الحال، ولو سلم ذلك لم ينف أن يكون فيما بعد أفضل من الملك؛ ولهذا تزيد قدرته وعلمه وغناه في الآخرة، وهذا كما لو قال الصبي: لا أقول: إني شيخ، ولا أقول: إني عالم، ومن الممكن ترقيه إلى ذلك، وأكمل منه.

الحجة الثالثة: قول إبليس لآدم وحواء: ﴿**إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠] تقديره: كراهة أن تكونا أو لئلا تكونا، فلولا أن كونهما ملكين حالة هي أكمل من كونهما بشرين؛ لما أغراهما بها، ولما ظنا أنها هي الحالة العليا؛ ولهذا قرنها بالخلود، والخالد أفضل من الفاني، والملك أطول حياة من الآدمي، فيكون أعظم عبادة وأفضل من الآدمي.

والجواب من وجوه: / ٤/٣٨٥

أحدها: ما ذكره القاضي أن قوله: ﴿**إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ**﴾ ظن أن الملائكة خير منهما، كما ظن أنه خير من آدم وكان مخطئا. وقوله: ﴿**أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾ ظناً منه أنهما يؤثران الخلود، لما في ذلك من السلامة من الأمراض والأسقام والأوجاع، والآفات والموت؛ لأن الخالد في الجنة هذه حاله، ولم يخرج هذا مخرج التفضيل على الأنبياء. ألا ترى أن الحور والولدان المخلوقين في الجنة خالدون فيها وليسوا بأفضل من الأنبياء.

وثانيها: أن الملك أفضل من بعض الوجوه، وكذلك الخلود آثر عندهما فمالا إليه.

وثالثها: أن حالهما تلك كانت حال ابتداء لا حال انتهاء، فإنهما في الانتهاء قد صارا إلى الخلود الذي لا حظر فيه ولا معه، ولا يعقبه زوال، وكذلك يصيران في الانتهاء إلى حال هي أفضل وأكمل من حال الملك، الذي أراداها أولاً، وهذا بين.

الحجة الرابعة: قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾ [الحج: ٧٥]، فبدأ بهم، والابتداء إنما يكون بالأفضل والأشرف، فالأفضل والأشرف، كما بدأ بذلك في قوله: ﴿**فَأُوْلَئِكَ**(١) **مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾ [النساء: ٦٩]، فبدأ بالأكمل والأفضل.

والجواب: أن الابتداء قد يكون كثيراً بغير الأفضل، بل يبتدأ بالشيء لأسباب متعددة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ**﴾[الأحزاب: ٧]، / ٤/٣٨٦

(١) في المطبوعة: «أولئك»، والصواب ما أثبتناه.

ولم يدل ذلك على أن نوحاً أفضل من إبراهيم، والنبي ﷺ أفضل؛ وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[الأحزاب: ٣٥]، لا يدل على أن المسلم أفضل من المؤمن، فلعله ـ واللّه أعلم ـ إنما بدأ بهم؛ لأن الملائكة أسبق خلقاً ورسالة؛ فإنهم أرسلوا إلى الجن والإنس، فذكر الأول، فالأول، في الخلق، والرسالة على ترتيبهم في الوجود.

وقد قال تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى: ٤٩]، والذكور أفضل من الإناث، وقال: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ [التين: ١]، ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الآيات [الشمس: ١] ، و﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] ، إلى غير ذلك ، ولم يدل التقديم في شيء من هذه المواضع على فضل المبدوء به، فعلم أن التقديم ليس لازماً للفضل .

الحجة الخامسة: قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، فدل على أن الملك أفضل من البشر، وهن إنما أردن أن يتبين لهن حال هي أعظم من حال البشر.

وقد أجابوا عنه بجوابين:

أحدهما: أنهن لم يعتقدن أن الملائكة أحسن من جميع النبيين وإن لم يروهم لمخبر / أخبرهم فسكن إلى خبره، فلما هالهن حسنه قلن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ٤/٣٨٧
لأن هذا الحسن ليس بصفة بشر.

وثانيهما: أنهن اعتقدن أن الملائكة خير من النبيين، فكان هذا الاعتقاد خطأ منهن، ولا يقال إنه لما لم يقرن بالإنكار دل على أنه حق، فإن قولهن ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ خطأ. وقولهن: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ خطأ أيضاً في غيبتهن عنه أنه بشر وإثباتهن أنه ملك، وإن لم يقرن بالإنكار، دل على أنه حق، وأن قولهن: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ خطأ في نفيهن عنه البشرية وإثباتهن له الملائكية، وإن لم يقرن بالإنكار لغيبة عقولهن عند رؤيته، فلم يلمن في تلك الحال على ذلك.

وأقول ـ أيضاً ـ: إن النسوة لم يكن يقصدن أنه نبي، بل ولا أنه من الصالحين إذ ذاك، ولم يشهدن له فضلاً على غيره من البشر في الصلاح والدين، وإنما شهدن بالفضل في الجمال والحسن، وسَبَاهُنّ جماله فَشَبَّهْنه بحال الملائكة، وليس هذا من التفضيل في شيء من الذي نريد.

ثم نقول: إذا كان التفضيل بالجمال حقاً، فقد ثبت أن أهل الجنة تدخل الزُّمْرَةُ الأولى

ووجوههم كالشمس، والذين يَلُونهم كالقمر. . . الحديث (١) ،فهذه حال السعداء عند المنتهى ، وإن كان في الجمال والملك تفضيل ، فإنما هو في هذه الحياة الدنيا؛ لعلم علمه النساء وأكثر الناس.

٤/٣٨٨ / وأما ما فضل اللّه عباده الصالحين،وما أعده اللّه من الكرامة، فأكثر الناس عنه بِمَعْزِل، ليس لهم نظر إليه، وكذلك ما آتاهم اللّه من العلم الذي غَبَطَتْهُم الملائكة به من أول ما خلقهم، وهو مما به يفضلون ، فهذا الجواب وما قبله.

الحجة السادسة: قوله تعالى :﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ [التكوير:١٩ـ٢١]، فهذه صفة جبرائيل.

ثم قال:﴿ **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ**﴾ [التكوير:٢٢]، فوصف جبرائيل بالكرم والرسالة، والقوة والتمكين عنده، وأنه مطاع وأنه أمين، فوصفه بهذه الصفات الفاضلة ثم عطف عليه بقوله: ﴿ **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴾فأضاف الرسول البشرى إلينا وسلب عنه الجنون، وأثبت له رؤية جبرائيل، ونفى عنه البخل والتهمة، وفي هذا تفاوت عظيم بين البشر والملائكة ، وبين الصفات والنِّعَم ، وهذا قاله بعض المعتزلة، زَلَّ به عن سواء السبيل.

والجواب: أولا : أين هو من قوله: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ إلى آخرها [الشرح]، وقوله: ﴿**وَالضُّحَىٰ. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ** ﴾ [الضحى:١، ٢]، وقوله: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ الآيات [الفتح:١] ، و﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء:٧٩] ؟

وأين هو عن قصة المعراج التي تأخر فيها جبرائيل عن مقامه؟ ثم أين هو عن الخلَّة؟ وهو التقريب ؛ فهذا نزاع من لم يُقَدِّر النبي ﷺ قَدْرَه.

٤/٣٨٩ / ثم نقول ثانياً : لما كان جبرائيل هو الذي جاء بالرسالة، وهو صاحب الوحي وهو غيب عن الناس، لم يروه بأبصارهم، ولم يسمعوا كلامه بآذانهم، وزعم زاعمون أن الذي يأتيه شيطان يعلمه ما يقول ، أو أنه إنما يعلمه إياه بعض الإنس.

أخبر اللّه العباد أن الرسول الذي جاء به، ونعته أحسن النعت، وبين حاله أحسن البيان، وذلك كله إنما هو تشريف لمحمد ﷺ ، ونفي عنه ما زعموه، وتقرير للرسالة؛ إذ كان هو صاحبه الذي يأتيه بالوحي، فقال: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾ [التكوير:١٩] أي: أن الرسول البشري لم ينطق به من عند نفسه، وإنما هو مبلغ يقول ما قيل له، فكان في اسم الرسول إشارة إلى محض التوسط والسعاية.

---

(١) مسلم فى الجنة (٢٨٣٤ / ١٤ ـ ١٦) .

ثم وصفه بالصفات التي تنفي كل عيب، من القوة والمكنة، والأمانة والقرب من اللّه ـ سبحانه ـ فلما استقر حال الرسول الملكي، بين أنه من جهته وأنه لا يجيء إلا بالخير.

وكان الرسول البشري معلوم ظاهره عندهم، وهو الذي يبلغهم الرسالة، ولولا هؤلاء لما أطاقوا الأخذ عن الرسول الملكي، وإنما قال: ﴿صَاحِبُكُم﴾ إشارة إلى أنه قد صحبكم سنين قبل ذلك، ولا سابقة له بما تقولون فيه وترمونه، من الجنون والسحر وغير ذلك، وأنه لولا سابقته وصحبته إياكم لما استطعتم الأخذ عنه، ألا تسمعه يقول: / ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ٤/٣٩٠
مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] ـ تمييزاً ـ من المرسلين، ثم حقق رسالته بأنه رأى جبرائيل، وأنه مؤتمن على ما يأخذه عنه، فقام أمر الرسالة بهاتين الصفتين، وجاء على الوجه الأبلغ والأكمل والأصلح.

وقد احتجوا بآيات تقدم التنبيه على مقاصدها؛ من وصف الملائكة بالتسبيح، والطاعة، والعبادة وغير ذلك.

الحجة السابعة: الحديث المشهور الصحيح عن اللّه ـ عز وجل ـ أنه قال: «من ذَكَرَنِي في نَفْسِه ذكرته في نَفْسي، ومن ذكرني في مَلأ ذكرته في مَلأ خير منه»(١).

والملأ الذي يذكر اللّه الذاكر فيه، هم: الملائكة وقد نطق الحديث بأنهم أفضل من الملأ الذين يذكر العبد فيهم ربه، وخير منهم، وقد قال بعضهم: وكم من ملأ ذكر اللّه فيه والرسول حاضر فيهم، بل وقع ذلك في مجالس الرسول كلهم، فأين العدول عن هذا الحديث الصحيح؟!

الجواب: أن هذا الحديث صحيح، وهو أجود وأقوى ما احتجوا به، وقد أجابوا عنه بوجهين:

أحدهما: أضعف من الآخر، وهو أن الخبر يجوز أن يرجع إلى الذِّكْر، لا إلى المذكور فيهم، تقديره ذكرته ذكراً خيراً من ذكره؛ لأن ذكر اللّه كلامه، وهذا ليس بشيء، فإن الخبر مجرور صفة للملأ، وقد وصل بقوله: منهم، ولم يقل: منه، ولو لا ذلك المعنى لقيل: ذكرته في ملأ خيراً / منه بالنصب، وصلة الضمير الذكر. وهذا من أوضح الكلام ٤/٣٩١
لمن له فقه بالعربية ونعوذ باللّه من التنطع.

وثانيهما: أنه محمول على ملأ خير منه ليس فيهم نبي، فإن الحديث عام عموماً مقصوداً شاملاً، كيف لا، والأنبياء والأولياء هم أهل الذكر، ومجالسهم مجالس الرحمة؟ فكيف يجيء استثناؤهم؟!

---

(١) البخارى فى التوحيد (٧٤٠٥).

لكن هنا أوجه متوجهة:

أحدها :أن الملأ الأعلى الذين يذكر الله من ذكره فيهم ـ هم صفوة الملائكة وأفضلهم، والذاكر فيهم للعبد هو الله. يقال: ينبغي أن يفرض على موازنة أفضل بني آدم يجتمعون في مجلس نبيه ﷺ ، وإن كان أفضل البشر، لكن الذين حوله ليس أفضل من بقي من البشر الفضلاء، فإن الرسل والأنبياء، أفضل منهم.

وثانيها: أن مجلس أهل الأرض إن كان فيه جماعة من الأنبياء يذكر العبد فيهم ربه، فالله ـ تعالى ـ يذكر العبد في جماعات من الملائكة أكثر من أولئك، فيقع الخير للكثرة التي لا يقوم لها شيء، فإن الجماعة كلما كثروا كانوا خيراً من القليل .

وثالثها: أنه لعله في الملأ الأعلى جماعة من الأنبياء يذكر الله العبد فيهم؛ فإن أرواحهم هناك.

/ **ورابعها** : أن من الناس من فرق بين الخير والأفضل ، فيقال: الخير للأنفع . ٤/٣٩٢

وخامسها : أنه لا يدل على أن الملأ الأعلى أفضل من هؤلاء الذاكرين إلا في هذه الدنيا، وفي هذه الحال؛ لأنهم لم يكملوا بعد، ولم يصلحوا أن يصيروا أفضل من الملأ الأعلى، فالملأ الأعلى خير منهم في هذه الحالة، كما يكون الشيخ العاقل خيراً من عامة الصبيان؛ لأنه إذ ذاك فيه من الفضل ما ليس في الصبيان، ولعل في الصبيان في عاقبته أفضل منه بكثير، ونحن إنما نتكلم على عاقبة الأمر ومستقره.

فليتدبر هذا، فإنه جواب معتمد إن شاء الله، والله ـ سبحانه ـ أعلم بحقائق خلقه وأفاضلهم، وأحكم في تدبيرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. هذا ما تيسر تعليقه وأنا عَجْلان، في حين من الزمان، والله المستعان، وهو المسؤول أن يهدي قلوبنا ويسدد ألسنتنا وأيدينا ، والحمد لله رب العالمين.

٤/٣٩٣ / سُئلَ شَيخُ الإسْلام ـ رحمَه اللَّه ـ عن « خديجة» و«عائشة» أمي المؤمنين ، أيتهما[١] أفضل ؟

فأجَـاب:

بأن سبق خديجة، وتأثيرها في أول الإسلام، ونصرها، وقيامها في الدين، لم تشركها فيه عائشة ، ولا غيرها من أمهات المؤمنين.

وتأثير عائشة في آخر الإسلام، وحمل الدين، وتبليغه إلى الأمة، وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة، ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها.

٤/٣٩٤ / وقال شيخ الإسْلام ـ رَحِمَهُ اللَّهُ :

فَصْـــل

وأفضل نساء هذه الأمة «خديجة» ، و«عائشة» ، و«فاطمة».

وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع، وتفصيل ليس هذا موضعه. وخديجة وعائشة من أزواجه .

فإذا قيل بهذا الاعتبار : إن جملة «أزواجه» أفضل من جملة «بناته» كان صحيحاً؛ لأن أزواجه أكثر عدداً، والفاضلة فيهن أكثر من الفاضلة في بناته.

---

(١) في المطبوعة : «أيهما»، والصواب ما أثبتناه.

obeikandl.com

٤/٣٩٥
/ وقال شَيْخُ الإِسْلام :

فَصْــل

وأما نساء النبي ﷺ، فلم يقل: إنهن أفضل من العشرة إلا أبو محمد ابن حزم، وهو قول شاذ لم يسبقه إليه أحد، وأنكره عليه من بلغه من أعيان العلماء، ونصوص الكتاب والسنة تبطل هذا القول.

وحجته التي احتج بها فاسدة؛ فإنه احتج على ذلك بأن المرأة مع زوجها في درجته في الجنة، ودرجة النبي ﷺ أعلى الدرجات فيكون أزواجه في درجته، وهذا يوجب عليه أن يكون أزواجه أفضل من الأنبياء جميعهم، وأن تكون زوجة كل رجل من أهل الجنة أفضل ممن هو مثله، وأن يكون من يطوف على النبي ﷺ من الوِلْدان، ومن يزوج به من الحور العِين أفضل من الأنبياء والمرسلين، وهذا كله مما يَعْلَم بطلانه عمومُ المؤمنين.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «فَضْلُ عائشة على النساء كَفضْلِ الثريد على سائر الطعام»[(١)] فإنما ذكر فضلها على النساء فقط. وقد ثبت / في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا عدد قليل، إما اثنتان أو أربع»، وأكثر أزواجه لسْنَ من ذلك القليل[(٢)]. ٤/٣٩٦

والأحاديث المفضلة للصحابة كقوله ﷺ: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»[(٣)]: يدل على أنه ليس في الأرض أهل، لا من الرجال ولا من النساء، أفضل عنده من أبي بكر، وكذلك ما ثبت في الصحيح عن علي أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر [(٤)]، وما دل على هذا من النصوص التي لا يتسع لها هذا الموضع.

---

(١) البخاري في فضائل الصحابة (٣٧٦٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣١/ ٧٠) ، كلاهما عن أبي موسى الأشعري، والبخاري في فضائل الصحابة(٣٧٧٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٦/٨٩)، والترمذي في المناقب (٣٨٨٧)، كلهم عن أنس بن مالك.

(٢) انظر: تخريج الحديث السابق.

(٣) البخارى فى الصلاة (٤٦٦ ، ٤٦٧) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨٢ / ٢) .

(٤) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٧١) .

obeikandl.com

وبالجملة، فهذا قول شاذ لم يسبق إليه أحد من السلف، وأبو محمد مع كثرة علمه وتبحره، وما يأتي به من الفوائد العظيمة، له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة، وهذا كقوله: إن مريم نبية، وإن آسية نبية، وإن أم موسى نبية.

وقد ذكر القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلى، وأبو المعالي، وغيرهم: الإجماع على أنه ليس في النساء نبية، والقرآن والسنة دلا على ذلك، كما في قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ**﴾ [يوسف :١٠٩] ، وقوله: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**﴾ [المائدة:٧٥] ،ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه الصديقيةُ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

٤/٣٩٧ / وَقَالَ شَيخُ الإِسْلام:

فَصـل

وأما أبو بكر والخضر، فهذا يبني على نبوة الخضر. وأكثر العلماء على أنه ليس بنبي، وهو اختيار أبي علي بن أبي موسى وغيره من العلماء. فعلى هذا أبو بكر وعمر أفضل منه.

والقول الثاني: أنه نبي ، واختاره أبو الفرج ابن الجوزي وغيره. فعلى هذا هو أفضل من أبي بكر، لكن النبي ﷺ وعيسى ابن مريم هما أفضل منه بالاتفاق ، ومحمد في أول هذه الأمة وعيسى في آخرها.

/ وَسُئِلَ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ عن رجلين اختلفا. فقال أحدهما: أبو بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب ـ رضي اللّه عنهما ـ أعلم، وأفقه من على بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه. وقال الآخر: بل على بن أبي طالب أعلم، وأفقه من أبي بكر وعمر، فأي القولين أصوب؟ وهل هذان الحديثان: وهما قوله ﷺ: «أَقْضَاكُم علىّ» ، وقوله : «أنا مدينة العلم، وعلى بابها» صحيحان؟ وإذا كانا صحيحين، فهل فيهما دليل أن عليا أعلم وأفقه من أبي بكر وعمر ـ رضي اللّه عنهم أجمعين ؟ وإذا ادعى مدع: أن إجماع المسلمين على أن عليا ـ رضي اللّه عنه ـ أعلم وأفقه من أبي بكر وعمر ـ رضي اللّه عنهم أجمعين ـ يكون محقاً أو مخطئاً؟ ٤/٣٩٨

فأَجَــاب :

الحمد للّه، لم يقل أحد من علماء المسلمين المعتبرين : أن عليّا أعلم وأفقه من أبي بكر وعمر، بل ولا من أبي بكر وحده. ومدعى الإجماع على ذلك من أجهل الناس، وأكذبهم بل ذكر غير واحد من العلماء إجماع العلماء على أن أبا بكر الصديق أعلم من على: منهم الإمام منصور بن عبد الجبار السمعاني، المروذي ـ أحد أئمة السنة من أصحاب الشافعي ـ ذكر في كتابه: «تقويم الأدلة على الإمام» / إجماع علماء السنة على أن أبا بكر أعلم من علي. وما علمت أحدًا من الأئمة المشهورين ينازع في ذلك. ٤/٣٩٩

وكيف وأبو بكر الصديق كان بحضرة النبي ﷺ يفتي، ويأمر ، وينهي ، ويقضي ، ويخطب؟! كما كان يفعل ذلك إذا خرج هو وأبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام، ولما هاجرا جميعاً، ويوم حنين، وغير ذلك من المشاهد والنبي ﷺ ساكت يقره على ذلك، ويرضى بما يقول، ولم تكن هذه المرتبة لغيره.

وكان النبي ﷺ في مشاورته لأهل العلم، والفقه، والرأي من أصحابه، يقدم في الشورى أبا بكر، وعمر. فهما اللذان يتقدمان في الكلام، والعلم بحضرة الرسول عليه السلام على سائر أصحابه، مثل قصة مشاورته في أسرى بدر، فأول من تكلم في ذلك أبو بكر، وعمر، وكذلك غير ذلك.

وقد روى في الحديث أنه قال لهما: «إذا اتفقتما على أمر لم أخالفكما»(١) ولهذا كان

(١) الطبراني في الأوسط (٧٢٩٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٥٥ وقال: « رواه الطبراني في الأوسط وفيه حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك وهو متروك».

قولهما حجة في أحد قولي العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد ـ وهذا بخلاف قول عثمان ، وعلي.

وفي السنن عنه أنه قال :« اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر»(١). ولم يجعل هذا لغيرهما، بل ثبت عنه أنه قال : «عليكم بسُنَّتي ، وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من
٤/٤٠٠ بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومُحْدَثات /الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»(٢) فأمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين. وهذا يتناول الأئمة الأربعة. وخص أبا بكر وعمر بالاقتداء بهما. ومرتبة المقتدى به في أفعاله، وفيما سنه للمسلمين، فوق سنة المتبع فيما سنه فقط. وفي صحيح مسلم أن أصحاب النبي ﷺ كانوا معه في سفر فقال:«إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا»(٣) .

وقد ثبت عن ابن عباس: أنه كان يفتي من كتاب اللّه، فإن لم يجد فبما سنه رسول اللّه ﷺ ، فإن لم يجد أفتى بقول أبي بكر وعمر؛ ولم يكن يفعل ذلك بعثمان وعلي. و«ابن عباس » حبر الأمة، وأعلم الصحابة، وأفقههم في زمانه ، وهو يفتي بقول أبي بكر وعمر، مقدماً لقولهما على قول غيرهما من الصحابة . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اللّهم فقههُ في الدين وعَلمه التأويل»(٤).

وأيضاً فأبو بكر وعمر ، كان اختصاصهما بالنبي ﷺ فوق اختصاص غيرهما. وأبو بكر كان أكثر اختصاصاً. فإنه كان يَسْمُرُ عنده عامة الليل يحدثه في العلم والدين، ومصالح المسلمين. كما روى أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن عَلْقَمَة عن عمر قال :كان رسول اللّه ﷺ يسمر عند أبي بكر في الأمر من أمور المسلمين وأنا معه(٥).

٤/٤٠١ وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصُّفَّة كانوا /ناساً فقراء؛ وأن النبي ﷺ قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة

---

(١) الترمذي في المناقب (٣٦٦٢) وقال:« هذا حديث حسن» وابن ماجه في المقدمة (٩٧) ، وأحمد ٥/ ٣٨٢، ٣٨٥، كلهم عن حذيفة بن اليمان.

(٢) أبو داود فى السنة (٤٦٠٧) والترمذى فى العلم (٢٦٧٦) وقال : « حسن صحيح » .

(٣) مسلم في المساجد (٦٨١/ ٣١١) عن أبي قتادة.

(٤) البخاري في الوضوء (١٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٧٧/ ١٣٨)، كلاهما بغير قوله:« وعلمه التأويل» وأحمد ١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، وذكره الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٧٩ وقال :« رواه أحمد والطبراني بأسانيد وله عند البزار والطبراني: «اللهم علمه تأويل القرآن» ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح».

(٥) الترمذي في الصلاة (١٦٩) وقال: « حديث حسن» ، وأحمد ١/ ٢٦، وصححه الشيخ شاكر(١٧٥)، والبيهقي في الصلاة ١/ ٤٥٢.

فليذهب بخامس، أو بسادس»، وأن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق نبي اللّه ﷺ بعشرة؛ وأن أبا بكر تَعَشَّى عند النبي ﷺ ، ثم لبث حتى صليت العشاء ، ثم رجع ، فلبث حتى نَعَسَ رسول اللّه ﷺ ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء اللّه. قالت امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء. عرضوا عليهم العشاء فغلبوهم. وذكر الحديث. وفي رواية :«كان يتحدث إلى النبي ﷺ إلى الليل»(١).

وفي سفر الهجرة لم يصحبه غير أبي بكر، ويوم بدر لم يبق معه في العريش غيره وقال: « إنَّ أَمَنَّ الناس علينا في صُحْبَته وذات يده أبو بكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خَليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»(٢). وهذا من أصح الأحاديث المستفيضة في الصحاح من وجوه كثيرة.

وفي الصحيحين عن أبي الدرداء قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ :«أما صاحبكم فقد غامر» فسلم، وقال : إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأتيتك. فقال:«يغفر اللّه لك ثلاثاً» ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فلم يجده، فأتى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يَتَمَعَّر وغَضب حتى / أشفق أبو بكر، وقال: ٤/٤٠٢
أنا كنت أظلم يا رسول اللّه، مرتين، فقال النبي ﷺ : «إن اللّه بعثني إليكم، فقلتم: كذبت وقال: أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي، فهل أنتم تاركو لي صاحبي ». فما أوذي بعدها. قال البخاري: غامر: سبق بالخير(٣).

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون، ويثنون، ويصلون عليه قبل أن يرفع؛ وأنا فيهم فلم يرعني(٤) إلا رجل قد أخذ بمَنْكِبي من ورائي، فالتفت فإذا هو علي، وترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقي اللّه ـ عز وجل ـ بعمله منك، وايم اللّه، إن كنت لأظن أن يجعلك اللّه مع صاحبيك. وذلك أني كنت كثيراً ما أسمع النبي ﷺ يقول: «جئت أنا وأبوبكر وعمر، ودخلت أنا وأبوبكر وعمر، وخرجت أنا وأبوبكر وعمر»، فإن كنت أرجو، أو أظن أن يجعلك اللّه معهما(٥).

وفي الصحيحين وغيرهما: أنه لما كان يوم أحد قال أبو سفيان ـ لما أصيب المسلمون :

---

(١) البخاري في مواقيت الصلاة (٦٠٢) ، ومسلم في الأشربة (٢٠٥٧/١٧٦)، وأحمد ١٩٨/١.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤١ .

(٣) البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٦١).

(٤) أي : لم أشعر ، كأنه فاجأه بغتة ، فراعه ذلك وأفزعه، انظر: النهاية ٢٧٨/٢.

(٥) البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٨٥)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٩/ ١٤).

أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ فقال النبي ﷺ :«لاتجيبوه». فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال النبي ﷺ :«لا تجيبوه» . فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال النبي ﷺ :«لا تجيبوه». فقال لأصحابه: أما هؤلاء فقد
٤/٤٠٣ /كفيتموهم. فلم يملك عمر نفسه أن قال: كذبت عدو اللّه! إن الذين عددت لأحياء، وقد بقى لك ما يسوؤك . . . الحديث(١). فهذا أمير الكفار في تلك الحال إنما سأل عن النبي ﷺ ، وأبى بكر وعمر دون غيرهم؛ لعلمه بأنهم رؤوس المسلمين: النبي ووزيراه.

ولهذا سأل الرشيد مالك بن أنس عن منزلتهما من النبي ﷺ في حياته فقال: منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد مماته. وكثرة الاختصاص، والصحبة، مع كمال المودة، والائتلاف ، والمحبة ، والمشاركة في العلم والدين ، تقتضى أنهما أحق بذلك من غيرهما. وهذا ظاهر بين لمن له خبرة بأحوال القوم.

أما الصِّدِّيق،فإنه مع قيامه بأمور من العلم والفقه عجز عنها غيره ـ حتى بينها لهم ـ لم يحفظ له قول مخالف نصاً . هذا يدل على غاية البراعة، وأما غيره فحفظت له أقوال كثيرة خالفت النص؛ لكون تلك النصوص لم تبلغهم.

والذي وجد من موافقة عمر للنصوص أكثر من موافقة عليّ ، وهذا يعرفه من عَرَف مسائل العلم، وأقوال العلماء فيها. وذلك مثل: نفقة المتوفى عنها زوجها : فإن قول عمر هو الذي وافق النص، دون القول الآخر، وكذلك «مسألة الحرام » قول عمر ، وغيره فيها، هو الأشبه بالنصوص من القول الآخر، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه
٤/٤٠٤ قال:«قد كان في الأمم /قبلكم مُحَدَّثُون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر»(٢). وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «رأيت كأني أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الرِّيَّ يخرج من أظفاري ثم ناولت فضلي عمر» فقالوا :ما أوَّلْتَه يا رسول اللّه؟ قال: «العلم»(٣) .وفي الترمذي وغيره أنه قال :« لو لم أُبْعَثْ فيكم لبُعِثَ عمر»(٤).

---

(١) البخاري في المغازي (٤٠٤٣)، وأحمد ٤/ ٢٩٣.

(٢) البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩٨/ ٢٣)، والترمذي في المناقب (٣٦٩٣).

وقوله :« مُحدَّثون» : أي ملهمون. والمُلْهَم : هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدْسًا وفِراسة، وهو نوع يختص به الله عز وجل من يشاء من عباده. انظر :النهاية ١/ ٣٥٠.

(٣) البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٨١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩١/ ١٦)، والترمذي في المناقب (٣٦٨٧).

(٤) الترمذي في المناقب (٣٦٨٦) بلفظ مختلف وقال:« حديث حسن غريب». وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٢٠ بلفظه وقال:« هذا لا يصح عن رسول الله ﷺ».

وأيضاً فإن الصِّدِّيقَ استخلفه النبي ﷺ على «الصلاة» التي هي عمود الإسلام، وعلى إقامة «المناسك» التي ليس في مسائل العبادات أشكل منها، وأقام المناسك قبل أن يحج النبي ﷺ . فنادى ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُرْيَان، فأردفه بعلي بن أبي طالب لينبذ العهد إلى المشركين ، فلما لحقه قال: أمير، أو مأمور؟ قال: بل مأمور. فأمر أبا بكر على عليٍّ بن أبي طالب، وكان علي ممن أمره النبي ﷺ أن يسمع ويطيع في الحج وأحكام المسافرين، وغير ذلك لأبي بكر، وكان هذا بعد غزوة تبوك التي استخلف علياً فيها على المدينة، ولم يكن بقي بالمدينة من الرجال إلا منافق، أو معذور، أو مذنب، فلحقه على فقال: أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: « أما ترضى أن تكون مِنِّي بمنزلة هارون من موسى؟» (١) .

بين بذلك أن استخلاف عليٍّ على المدينة لا يقتضى نقص المرتبة؛ فإن موسى قد استخلف هارون، وكان النبي ﷺ دائما يستخلف رجالاً، لكن كان يكون بها رجال. وعام تبوك خرج النبي ﷺ بجميع المسلمين ولم يأذن لأحد في التخلف عن الغزاة؛ لأن العدو كان شديداً ، والسفر / بعيداً، وفيها أنزل اللّه سورة براءة. ٤/٤٠٥

وكتاب أبي بكر في الصدقات أجمع الكتب وأوجزها؛ ولهذا عمل به عامة الفقهاء. وكتاب غيره فيه ما هو متقدم منسوخ، فدل ذلك على أنه أعلم بالسنة الناسخة. وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال: وكان أبو بكر أعلمنا برسول اللّه ﷺ (٢).

وأيضاً ، فالصحابة في زمن أبي بكر لم يكونوا يتنازعون في مسألة إلا فصلها بينهم أبو بكر وارتفع النزاع ، فلا يعرف بينهم في زمانه مسألة واحدة تنازعوا فيها إلا ارتفع النزاع بينهم بسببه، كتنازعهم في وفاته ﷺ ، ومدفنه، وفي ميراثه، وفي تجهيز جيش أسامة، وقتال مانعي الزكاة ، وغير ذلك من المسائل الكبار ، بل كان خليفة رسول اللّه ﷺ فيهم: يعلمهم، ويُقَوِّمهم ، ويبين لهم ما تزول معه الشبهة، فلم يكونوا معه يختلفون.

وبعده لم يبلغ علم أحد وكماله علم أبي بكر وكماله؛ فصاروا يتنازعون في بعض المسائل. كما تنازعوا في الجدِّ والإخوة ، وفي الحرام، وفي الطلاق الثلاث، وفي غير ذلك من المسائل المعروفة مما لم يكونوا يتنازعون فيه على عهد أبي بكر، وكانوا يخالفون عمر، وعثمان، وعلياً في كثير من أقوالهم ، ولم يعرف أنهم خالفوا أبا بكر في شيء مما

---

(١) البخاري في المغازى (٤٤١٦) ومسلم في فضائل الصحابة (٤٠٢٤/ ٣١).
(٢) البخارى فى الصلاة (٤٦٦) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨٢ / ٢) .

كان يفتى فيه ويقضى . وهذا يدل على غاية العلم.

وقام مقام رسول اللّه ﷺ ، وأقام الإسلام ؛ فلم يخل بشيء منه، بل أدخل الناس من الباب الذي خرجوا منه مع كثرة المخالفين من المرتدين وغيرهم، وكثرة الخاذلين، فكمل به من علمهم ودينهم ما لا يقاومه فيه /أحد، حتى قام الدين كما كان. وكانوا ٤/٤٠٦
يسمون أبا بكر خليفة رسول اللّه ﷺ . ثم بعد هذا سموا عمر وغيره أمير المؤمنين. قال السهيلي وغيره من العلماء: ظهر قوله: ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] في أبي بكر: في اللفظ ، كما ظهر في المعنى فكانوا يقولون: محمد رسول اللّه وأبو بكر خليفة رسول اللّه، ثم انقطع هذا الاتصال اللفظي بموته، فلم يقولوا لمن بعده: خليفة رسول اللّه.

وأيضاً فعلي بن أبي طالب تعلَّم من أبي بكر بعض السنة؛ بخلاف أبي بكر، فإنه لم يتعلم من علي بن أبي طالب، كما في الحديث المشهور الذي في السنن حديث صلاة التوبة عن علي قال: كنت إذا سمعت(١) من النبي ﷺ حديثا ينفعني اللّه منه بما شاء أن ينفعني، فإذا حدثني غيره استحلفته فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر ـ وصدق أبو بكر ـ عن النبي ﷺ أنه قال :«ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويُحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويستغفر اللّه، إلا غفر اللّه له» (٢).

ومما يبين لك هذا أن أئمة علماء الكوفة: الذين صحبوا عمر وعليا كعلقمة، والأسود، وشُرَيْح القاضي، وغيرهم، كانوا يرجحون قول عمر على قول علي. وأما تابعو أهل المدينة ومكة والبصرة ، فهذا عندهم أظهر وأشهر من أن يُذْكر، وإنما الكوفة ظهر فيها فقه على وعلمه بحسب مقامه فيها مدة خلافته.

وكل شيعة(٣) على الذين صحبوه لا يعرف عن أحد منهم أنه قدمه على أبي بكر /وعمر، لا في فقه، ولا علم، ولا غيرهما؛ بل كل شيعته، الذين قاتلوا معه عدوه، ٤/٤٠٧
كانوا مع سائر المسلمين، يقدمون أبا بكر وعمر، إلا من كان على ينكر عليه ويذمه، مع قلتهم في عهد علي وخمولهم، كانوا ثلاث طوائف:

طائفة غلت فيه، كالتي ادعت فيه الإلهية، وهؤلاء حرقهم عليّ بالنار.

وطائفة كانت تَسُبُّ أبا بكر، وكان رأسهم عبد اللّه بن سبأ، فلما بلغ عليا ذلك طلب قتله، فهرب منه.

---

(١) في المطبوعة :« سمت» والصواب ما أثبتناه.

(٢) أبو داود في الصلاة (١٥٢١)، والترمذي في الصلاة (٤٠٦) وقال:« حديث حسن» ، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٩٥)، وأحمد ١/٩، ١٠.

(٣) في المطبوعة :« شعية» والصواب ما أثبتناه.

وطائفة كانت تُفَضِّلُه على أبي بكر وعمر، قال : لا يبلغني عن أحد منكم أنه فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى. وقد روى عن علي من نحو ثمانين وجها وأكثر أنه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره من رواية رجال هَمْدَان خاصة ـ التي يقول فيها علي:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام

من رواية سفيان الثوري عن مُنْذِر الثوري وكلاهما من همدان. رواه البخاري عن محمد بن كثير. قال: حدثنا سفيان الثوري حدثنا جامع بن شَدَّاد، حدثنا أبو يعلى منذر الثوري، عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي : يا أبت، من خير الناس بعد رسول اللّه ﷺ ؟ فقال : يا بني ، أو ما تعرف ؟! فقلت: لا. فقال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال: ثم عمر(١).

/ وهذا يقوله لابنه، الذي لا يتقيه، ولخاصته ، ويتقدم بعقوبة من يفضله عليهما. ٤/٤٠٨
والمتواضع لا يجوز له أن يتقدم بعقوبة كل من قال الحق، ولا يجوز أن يسميه مفترياً. ورأس الفضائل العلم، وكل من كان أفضل من غيره من الأنبياء والصحابة وغيرهم، فإنه أعلم منه، قال تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، والدلائل على ذلك كثيرة، وكلام العلماء في ذلك كثير.

وأما قوله: «أقضاكم علي»(٢) ،لم يروه أحد من أهل الكتب الستة، ولا أهل المسانيد المشهورة، لا أحمد، ولا غيره بإسناد صحيح ولا ضعيف، وإنما يروى من طريق من هو معروف بالكذب، ولكن قال عمر بن الخطاب : أبيٌّ أقرؤنا، وعليٌّ أقضانا، وهذا قاله بعد موت أبي بكر.

والذي في الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال: «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت»(٣) وليس فيه ذكر عليّ، والحديث الذي فيه ذكر علي ـ مع ضعفه ـ فيه أن معاذ بن جبل أعلم بالحلال والحرام، وزيد بن ثابت أعلم بالفرائض. فلو قدر صحة هذا الحديث، لكان الأعلم بالحلال والحرام أوسع علماً من الأعلم بالقضاء؛ لأن الذي يختص بالقضاء إنما هو فصل الخصومات في الظاهر مع جواز

---

(١) البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٧١)، وأبو داود في السنة (٤٦٢٩).
(٢) المقاصد الحسنة ص ٧٢، وكشف الخفاء ١/ ١٦٢، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص ١٢٤.
(٣) الترمذي في المناقب (٣٧٩١) وقال: « حديث حسن صحيح» والنسائي في الكبرى في المناقب ٥/ ٦٧ (٥/٨٢٤٢)، وابن ماجه في المقدمة (١٥٤).

أن يكون الباطن بخلافه كما قال النبي ﷺ :«إنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضى بنحو ما أسمع. فمن قضيت له من حق أخيه
٤/٤٠٩ شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار» (١) فقد أخبر سيد القضاة أن قضاءه / لا يحل الحرام، بل يحرم على المسلم أن يأخذ بقضائه ما قضى له به من حق الغير. وعلم الحلال والحرام يتناول الظاهر والباطن: فكان الأعلم به أعلم بالدين .

وأيضاً ، فالقضاء نوعان :

أحدهما: الحكم عند تَجَاحُد الخَصْمَين ،مثل: أن يدعي أحدهما أمراً يكذبه الآخر فيه فيحكم فيه بالبينة ونحوها.

والثاني: ما لا يتجاحدان فيه ـ يتصادقان ـ ولكن لا يعلمان ما يستحق كل منهما كتنازعهما في قسم فريضة، أو فيما يجب لكل من الزوجين على الآخر، أو فيما يستحقه كل من الشريكين، ونحو ذلك .

فهذا الباب هو من أبواب الحلال والحرام ، فإذا أفتاهما من يرضيان بقوله كفاهما ذلك، ولم يحتاجا إلى من يحكم بينهما، وإنما يحتاجان إلى حاكم عند التجاحد، وذاك إنما يكون في الأغلب مع الفجور، وقد يكون مع النسيان؛ فأما الحلال والحرام فيحتاج إليه كل أحد من بَرٍّ وفاجر، وما يختص بالقضاء لا يحتاج إليه إلا قليل من الأبرار.

ولهذا لما أمر أبو بكر عمر أن يقضي بين الناس، مكث حَوْلاً لم يتحاكم اثنان في شيء، ولو عدَّ مجموع ما قضى النبي ﷺ من هذا النوع لم يبلغ عشر حكومات، فأين هذا من كلامه في الحلال والحرام الذي هو قوام دين الإسلام يحتاج إليه الخاص والعام.

٤/٤١٠ /وقوله: «أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» أقرب إلى الصحة باتفاق علماء الحديث من قوله: «أقضاكم على» لو كان مما يحتج به، وإذا كان ذلك أصح إسناداً، وأظْهر دلالة ، علم أن المحتج بذلك ـ على أن عليا أعلم من معاذ بن جبل ـ جاهل ـ فكيف من أبي بكر وعمر اللذين هما أعلم من معاذ بن جبل؟! مع أن الحديث الذي فيه ذكر معاذ وزيد يضعفه بعضهم، ويحسنه بعضهم. وأما الحديث الذي فيه ذكر على فإنه ضعيف.

وأما حديث: «أنا مدينة العلم» فأضعف وأوهى؛ ولهذا إنما يعد في الموضوعات المكذوبات، وإن كان الترمذي قد رواه؛ ولهذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وبين أنه

---

(١) البخاري في الشهادات (٢٦٨٠) ، ومسلم في الأقضية (١٧١٣/ ٤)،وأبو داود في الأقضية (٣٥٨٣)، والترمذي في الأحكام (١٣٣٩) وقال:« حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في الأحكام(٢٣١٧)، ومالك في الموطأ ٢/ ٧١٩ (١) وأحمد ٦/ ٢٠٣، ٢٩٠، كلهم عن أم سلمة.

موضوع من سائر طرقه (١)

والكذب يعرف من نفس مَتْنه، لا يحتاج إلى النظر في إسناده، فإن النبي ﷺ إذا كان «مدينة العلم» لم يكن لهذه المدينة إلا باب واحد، ولا يجوز أن يكون المبلغ عنه واحدًا ، بل يجب أن يكون المبلغ عنه أهل التواتر الذين يحصل العلم بخبرهم للغائب، ورواية الواحد لا تفيد العلم إلا مع قرائن، وتلك القرائن إما أن تكون منتفية؛ وإما أن تكون خفية عن كثير من الناس، أو أكثرهم فلا يحصل لهم العلم بالقرآن والسنة المتواترة ، بخلاف النقل المتواتر، الذي يحصل به العلم للخاص والعام.

وهذا الحديث إنما افتراه زنديق، أو جاهل، ظنه مدحاً ، وهو مطرق الزنادقة إلى القدح في علم الدين ـ إذا لم يبلغه إلا واحد من الصحابة .

/ ثم إن هذا خلاف المعلوم بالتواتر ، فإن جميع مدائن المسلمين بلغهم العلم عن ٤/٤١١
رسول اللّه ﷺ من غير طريق على ـ رضى الله عنه ـ أما أهل المدينة ومكة فالأمر فيهم ظاهر، وكذلك أهل الشام والبصرة، فإن هؤلاء لم يكونوا يروون عن على إلا شيئاً قليلاً، وإنما غالب علمه كان في أهل الكوفة، ومع هذا فقد كانوا تعلموا القرآن والسنة قبل أن يتولى عثمان ، فضلا عن خلافة على.

وكان أفقه أهل المدينة، وأعلمهم، تعلموا الدين في خلافة عمر، وقبل ذلك لم يتعلم أحد منهم من على شيئاً إلا من تعلم منه لما كان باليمن، كما تعلموا ـ حينئذ ـ من معاذ ابن جبل. وكان مقام معاذ بن جبل في أهل اليمن وتعليمه لهم أكثر من مقام علي وتعليمه؛ ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ أكثر مما رووه عن على ، وشُرَيْح وغيره من أكابر التابعين إنما تفقهوا على معاذ.

ولما قدم على الكوفة كان شريح قاضيا فيها قبل ذلك. وعلى وجد على القضاء في خلافته شريحاً وعبيدة السلماني ، وكلاهما تفقه على غيره.

فإذا كان علم الإسلام انتشر في مدائن الإسلام بالحجاز ، والشام، واليمن، والعراق، وخراسان، ومصر، والمغرب قبل أن يقدم إلى الكوفه، ولما صار إلى الكوفة عامة ما بلغة من العلم بلغه غيره من الصحابة ، ولم يختص على بتبليغ شيء من العلم إلا وقد اختص غيره بما هو أكثر منه.

---

(١) الترمذي في المناقب (٣٧٢٣) وقال:« حديث غريب منكر» ، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٤٩ـ ٣٥٣ جاء من عشرة طرق، وضعفها ابن الجوزي كلها.

٤/٤١٢ / فالتبليغ العام الحاصل بالولاية ،حصل لأبي بكر وعمر وعثمان منه أكثر مما حصل لعلي .

وأما الخاص فابن عباس كان أكثر فتياً منه، وأبو هريرة أكثر رواية منه، وعلى أعلم منهما، كما أن أبا بكر وعمر وعثمان أعلم منهما ـ أيضاً ـ فإن الخلفاء الراشدين قاموا من تبليغ العلم العام بما كان الناس أحوج إليه مما بلغه من بلغ بعض العلم الخاص.

وأما ما يرويه أهل الكذب والجهل من اختصاص على بعلم انفرد به عن الصحابة فكله باطل ، وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قيل له :هل عندكم من رسول اللّه ﷺ شيء؟ فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتية اللّه عبداً في كتابه وما في هذه الصحيفة وكان فيها عقول الديات ـ أي: أسنان الإبل التي تجب فيه الدية ـ وفيها فكاك الأسير، وفيها: لا يقتل مسلم بكافر(١).

وفي لفظ : هل عهد إليكم رسول اللّه ﷺ شيئًا لم يعهده إلى الناس؟ فنفى ذلك(٢). إلى غير ذلك من الأحاديث عنه التي تدل على أن كل من ادعى أن النبي ﷺ خصه بعلم فقد كذب عليه.

وما يقوله بعض الجهال أنه شرب من غسل النبي ﷺ فأورثه علم الأولين والآخرين ، من أقبح الكذب البارد، فإن شرب غسل الميت ليس بمشروع، ولا شرب على شيئاً ، ولو كان هذا يوجب العلم لشركه في ذلك كل من حضر. ولم يرو هذا أحد من أهل العلم.

٤/٤١٣ / وكذلك ما يذكر: أنه كان عنده علم باطن امتاز به عن أبي بكر، وعمر، وغيرهما، فهذا من مقالات الملاحدة الباطنية ، ونحوهم، الذين هم أكفر منهم، بل فيهم من الكفر ما ليس في اليهود ، والنصارى ، كالذين يعتقدون إلهيته، ونبوته، وأنه كان أعلم من النبي ﷺ ، وأنه كان معلماً للنبي ﷺ في الباطن، ونحو هذه المقالات ، التي إنما يقولها الغلاة في الكفر والإلحاد. واللّه ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

(١، ٢) سبق تخريجهما ص ٥١ .

/ سُئِلَ شَيخُ الإسْلام ـ رحمهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ عن رجل متمسك بالسنة ويحصل له ريبة في تفضيل الثلاثة على عليّ، لقوله ـ عليه السلام ـ له : « أنت مني وأنا منك» (١)، وقوله:«أنت مني بمنزلة هارون من موسى» (٢) ، وقوله:«لأعطين الراية رجلا يحب اللّه ورسوله... الخ » (٣) وقوله: «من كنت مولاه فعلى مولاه»(٤) ،« اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ... إلخ»(٥) ،وقوله: «أذكِّركُم اللّه في أهل بيتي» ، وقوله سبحانه:﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ الآية [آل عمران:٦١] وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإنسَانِ ﴾ الآية[الإنسان:١]، وقوله: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ الآية [الحج:١٩]. ٤/٤١٤

فَأَجَــابَ :

يجب أن يعلم أولاً: أن التفضيل إذا ثبت للفاضل من الخصائص ما لا يوجد مثله للمفضول، فإذا استويا وانفرد أحدهما بخصائص كان أفضل ، وأما الأمور المشتركة فلا توجب تفضيله على غيره.

وإذا كان كذلك، ففضائل الصديق ـ رضي اللّه عنه ـ التي تميز بها لم يشركه / فيها غيره، وفضائل على مشتركة، وذلك أن قوله: « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » (٦) ، وقوله: «لا يبقى في المسجد خَوْخَة إلا سُدَّتْ، إلا خَوْخَة أبي بكر» (٧) وقوله:«إن أمَنَّ الناس على في صحبته وذات يده أبو بكر» (٨) وهذا فيه ثلاث خصائص لم يشركه فيها أحد: ٤/٤١٥

الأولى : أنه ليس لأحد منهم عليه في صحبته وماله مثل ما لأبي بكر.

الثانية : قوله:« لا يبقى في المسجد . . .إلخ» ، وهذا تخصيص له دون سائرهم، وأراد بعض الكذابين أن يروي لعلي مثل ذلك، والصحيح لا يعارضه الموضوع.

الثالثة : قوله: «لو كنت متخذاً خليلاً» نص في أنه لا أحد من البشر استحق الخُلَّة لو أمكنت إلا هو، ولو كان غيره أفضل منه لكان أحق بها لو تقع.

---

(١) الترمذي في المناقب (٣٧١٦) وقال:« حديث غريب» عن البراء بن عازب.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤٧ .

(٣) مسلم في فضائل الصحابة (٤٠٢٤/ ٣٢) ، والترمذي في المناقب (٣٧٢٤) وقال:« حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه» ، كلاهما عن سعد بن أبي وقاص.

(٤) الترمذي في المناقب (٣٧١٣) وقال:«حديث حسن صحيح»، والنسائي في الكبرى في المناقب ٥/ ٤٥ (٨١٤٥/ ٩).

(٥) الدارمي في فضائل القرآن ٢/ ٤٣٢، وأحمد ٤/ ٣٦٧، كلاهما عن زيد بن أرقم.

(٦ـ ٨) مسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨٢ / ٢ ــ ٧) .

وكذلك أمره له أن يصلي بالناس مدة مرضه من الخصائص، وكذلك تأميره له في المدينة على الحج؛ ليقيم السنة ويمحق آثار الجاهلية فإنه من خصائصه، وكذلك قوله في الحديث الصحيح: «ادع أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً»(١) وأمثال هذه الأحاديث كثيرة تبين أنه لم يكن في الصحابة من يساويه. وأما قوله: «أنت مني وأنا منك» (٢)، فقد قالها لغيره وقالها لسلمان والأشعريين. وقال تعالى: ﴿**وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ**﴾[التوبة: ٥٦]، وقوله ﷺ: «من غَشَّنَا فليس منا، ومن حمل علينا السلاح فليس منا»(٣)، يقتضي أن من يترك / هذه الكبائر يكون منا، فكل مؤمن كامل الإيمان فهو من ٤/٤١٦
النبي والنبي منه، وقوله في ابنة حمزة: «أنت مني وأنا منك»(٤) وقوله لزيد: «أنت أخونا ومولانا»(٥) لا يختص بزيد، بل كل مواليه كذلك.

وكذلك قوله: « لأعطين الراية. . .إلخ » (٦). هو أصح حديث يروى في فضله، وزاد فيه بعض الكذابين: أنه أخذها أبو بكر وعمر فهربا، وفي الصحيح أن عمر قال: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فهذا الحديث رد على الناصبة الواقعين في علي، وليس هذا من خصائصه، بل كل مؤمن كامل الإيمان يحب اللّه ورسوله، ويحبه اللّه ورسوله، قال تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]، وهم الذين قاتلوا أهل الردة وإمامهم أبو بكر، وفي الصحيح: أنه سأله: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها » (٧)، وهذا من خصائصه.

وأما قوله: « أما تَرْضَى أن تكون مني بمنزلة هارون من مومى» (٨) قاله في غزوة تبوك لما استخلفه على المدينة، فقيل: استخلفه لبغضه إياه، وكان النبي ﷺ إذا غزا استخلف رجلاً من أمته، وكان بالمدينة رجال من المؤمنين القادرين، وفي غزوة تبوك لم يأذن لأحد فلم يتخلف أحد إلا لعذر، أو عاص. فكان ذلك الاستخلاف ضعيفاً فطعن به المنافقون بهذا السبب، فبين له: أني لم أستخلفك لنقص عندي، فإن مومى استخلف هارون وهو شريكه في الرسالة، أفما ترضى بذلك؟ ومعلوم أنه استخلف غيره قبله وكانوا منه بهذه
٤/٤١٧ / المنزلة، فلم يكن هذا من خصائصه، ولو كان هذا الاستخلاف أفضل من غيره لم يخف على عليٍّ ولحقه يبكي.

---

(١) مسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٧/ ١١) . (٢) سبق تخريجه ص ٢٥٣ .

(٣) مسلم في الإيمان (١٠١/ ١٦٤) ، وأحمد ٢/ ٤١٧، كلاهما عن أبي هريرة.

(٤) كل الأحاديث الواردة عن ابنة حمزة لفظها: « إنها ابنة أخي من الرضاعة» في البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم. لم يأت هذا اللفظ إلا لعلي، رضي الله عنه.

(٥) البخاري في الصلح (٢٦٩٩)، وفي المغازي (٤٢٥١)، وأحمد ١/ ٩٨، ١١٥.

(٦) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٧٠١) . (٧) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٦٢) .

(٨) سبق تخريجه ص ٢٤٧ .

ومما بين ذلك : أنه بعد هذا أمَّر عليه أبا بكر سنة تسع، وكونه بعثه لنبذ العهود ليس من خصائصه؛ لأن العادة لما جرت أنه لا ينبذ العهود ولا يعقدها إلا رجل من أهل بيته، فأي شخص من عترته نبذها حصل المقصود، ولكنه أفضل بني هاشم بعد رسول اللّه ﷺ فكان أحق الناس بالتقدم من سائرهم، فلما أمَّر أبا بكر بعد قوله: «أما ترضى. . .إلخ» ، علمنا أنه لا دلالة فيه على أنه بمنزلة هارون من كل وجه، وإنما شبهه به في الاستخلاف خاصة، وذلك ليس من خصائصه.

وقد شبه النبي ﷺ أبا بكر بإبراهيم وعيسى، وشبه عمر بنوح وموسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لما أشارا في الأسرى (١)، وهذا أعظم من تشبيه على بهارون، ولم يوجب ذلك أن يكونا بمنزلة أولئك الرسل، وتشبيه الشيء بالشيء ـ لمشابهته في بعض الوجوه ـ كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب.

وأما قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه. . . إلخ»(٢) فهذا ليس في شيء من الأمهات؛ إلا في الترمذي، وليس فيه إلا: «من كنت مولاه فعلى مولاه» ، وأما الزيادة فليست في الحديث. وسئل عنها الإمام أحمد فقال: زيادة كوفية، ولا ريب أنها كذب لوجوه:

/ **أحدها** : أن الحق لا يدور مع مُعَيَّن إلا النبي ﷺ ؛ لأنه لو كان كذلك لوجب اتباعه في كل ما قال، ومعلوم أن علياً ينازعه الصحابة وأتباعه في مسائل **وجد** فيها النص يوافق من نازعه؛ كالمتوفى عنها زوجها وهي حامل. ٤/٤١٨

وقوله : « اللهم انصر من نصره. . . إلخ » ، خلاف الواقع ، قاتل معه أقوام يوم «صفِّين» فما انتصروا ، وأقوام لم يقاتلوا فما خذلوا : « كسعد » الذي فتح العراق لم يقاتِل معه، وكذلك أصحاب معاوية ، وبني أمية الذين قاتلوه ، فتحوا كثيراً من بلاد الكفار ونصرهم اللّه.

وكذلك قوله : « اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» مخالف لأصل الإسلام ؛ فإن القرآن قد بين أن المؤمنين إخوة مع قتالهم وبغي بعضهم على بعض. وقوله : «من كنت مولاه فعلى مولاه » فمن أهل الحديث من طعن فيه كالبخاري وغيره ، ومنهم من حسنه، فإن كان قاله فلم يرد به ولاية مختصاً بها ، بل ولاية مشتركة ،وهي ولاية الإيمان التي للمؤمنين، والموالاة ضد المعاداة ،ولا ريب أنه يجب موالاة المؤمنين على سواهم ،ففيه رد على النواصب.

---

(١) ابن جرير ١٠/ ٣١، والقرطبي ٨/ ٤٩.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٣ .

وحديث«التصدق بالخاتم في الصلاة» كذب باتفاق أهل المعرفة، وذلك مبين بوجوه كثيرة مبسوطة في غير هذا الموضع.

٤/٤١٩ وأما قوله: يوم غَدِيرِخُمٍّ :«أذكركم اللّه في أهل بيتي»(١) ،فليس من الخصائص / بل هو مساو لجميع أهل البيت، وأبعد الناس عن هذه الوصية الرافضة، فإنهم يعادون العباس وذريته؛ بل يعادون جمهور أهل البيت ويعينون الكفار عليهم .

وأما آية «المباهلة» فليست من الخصائص ، بل دعا علياً وفاطمة وابنيهما، ولم يكن ذلك لأنهم أفضل الأمة، بل لأنهم أخص أهل بيته، كما في حديث الكساء:« اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرِّجْسَ وطهرهم تطهيراً»(٢).

فدعا لهم وخصهم. و«الأنفس» يعبر عنها بالنوع الواحد، كقوله:﴿**ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا**﴾ [النور:١٢] ، وقال:﴿ **فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ** ﴾[البقرة:٥٤] أي: يقتل بعضكم بعضاً، وقوله:«أنت مِنِّي وأنا منك» ليس المراد أنه من ذاته، ولاريب أنه أعظم الناس قدراً من الأقارب، فله من مزية القرابة والإيمان ما لا يوجد لبقية القرابة فدخل في ذلك المباهلة، وذلك لا يمنع أن يكون في غير الأقارب من هو أفضل منه؛ لأن المباهلة وقعت في الأقارب، وقوله:﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ** . . .﴾ الآية[الحج:١٩] ، فهي مشتركة بين علي، وحمزة ، وعبيدة، بل وسائر البدريين يشاركونهم فيها.

وأما سورة: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ** ﴾ [سورة الإنسان] فمن قال: إنها نزلت فيه وفي فاطمة وابنيهما فهذا كذب؛ لأنها مكية والحسن والحسين إنما ولدا في المدينة ، وبتقدير صحته فليس فيه أنه من أطعم مسكيناً ويتيما وأسيراً أفضل الصحابة، بل الآية عامة مشتركة فيمن فعل هذا، وتدل على استحقاقه للثواب على هذا العمل، مع أن غيره من الأعمال من الإيمان باللّه والصلاة في وقتها والجهاد أفضل منه.

---

(١) مسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٠٨/٣٦) ، وأحمد ٤ / ٣٦٧ .

(٢) مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٤/٣٢)، والترمذي في المناقب (٣٧٢٤) وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

/ وَسُئِلَ عمن يقول: ٤/٤٢٠

لا أفضل على عليٍّ غيره، وإذا ذكر «علي» صلى عليه مفرداً، هل يجوز له أن يخصه بالصلاة دون غيره؟

فَأَجَـابَ :

ليس لأحد أن يخص أحداً بالصلاة عليه دون النبي ﷺ، لا أبا بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علياً، ومن فعل ذلك فهو مبتدع ، بل إما أن يصلي عليهم كلهم أو يدع الصلاة عليهم كلهم.

بل المشروع أن يقول: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد».

ومن قال: لا أُفَضِّل عَلَى عَلِيّ غيره فهو مخطئ مخالف للأدلة الشرعية.

والله أعلم.

obeikandl.com

٤/٤٢١ / **سُئِلَ عن قول الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد في آخر عقيدته: وأن خير القرون الَقرن الذين رأوا رسول الله ﷺ ، وآمنوا به ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر، وعمر ، وعثمان، وعلي. فما الدليل على تفضيل أبي بكر على عمر؟ وتفضيل عمر على عثمان، وعثمان على عليّ ؟ فإذا تبين ذلك، فهل تجب عقوبة من يفضل المفضول على الفاضل أم لا؟ بينوا لنا ذلك بيانا مبسوطاً مأجورين، إن شاء الله تعالى.**

فَأجَاب :

الحمد للّه رب العالمين، أما تفضيل أبي بكر، ثم عمر علَى عثمان وعلي ، فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين، من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وهو مذهب مالك وأهل المدينة، والليث بن سعد، وأهل مصر، والأوزاعي، وأهل الشام، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد ، وحماد بن سَلَمة، وأمثالهم من أهل العراق. وهو مذهب الشافعي وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة. وحكى مالك إجماع أهل المدينة على ذلك فقال: ما أدركتُ أحداً ممن أقتدى به يشك في تقديم أبي بكر وعمر.

٤/٤٢٢ / وهذا مستفيض عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب. وفي صحيح البخاري عن محمد ابن الحنفية ؛ أنه قال لأبيه على بن أبي طالب : يا أبت مَن خيرُ الناس بعد رسول اللّه ﷺ ؟ قال: يا بني، أو ما تعرف؟ ! قلت: لا. قال: أبو بكر. قلت: ثم من ؟ قال: عمر (١). ويروى هذا عن علي بن أبي طالب من نحو ثمانين وجها، وأنه كان يقوله على منبر الكوفة؛ بل قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حَدَّ المفْتَرِى. فمن فضله على أبي بكر وعمر جلد بمقتضى قوله ـ رضي اللّه عنه ـ ثمانين سوطاً.

وكان سفيان يقول :من فضل عليا على أبي بكر، فقد أزْرَى (٢) بالمهاجرين، وما أرى أنه يصعد له إلى اللّه عمل ـ وهو مقيم على ذلك. وفي الترمذي ، وغيره روى هذا التفضيل: عن النبي ﷺ أنه قال:«يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين؛ إلا النبيين والمرسلين» (٣). وقد استفاض في الصحيحين وغيرهما عن النبي

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٩ .

(٢) أي: حطَّ من شأنهم. انظر: القاموس، مادة «زرى».

(٣) الترمذي في المناقب (٣٦٦٥) وقال: « هذا حديث غريب من هذا الوجه»، وابن ماجه في المقدمة (٩٥)، وأحمد ١/ ٨٠، كلهم عن علي بن أبي طالب .

ﷺ من غير وجه: من حديث أبي سعيد، وابن عباس، وجندب بن عبد اللّه، وابن الزبير، وغيرهم، أن النبي ﷺ قال: « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل اللّه»(١) يعني: نفسه.

وفي الصحيح أنه قال على المنبر: «إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته، وذات يده، أبو بكر ، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل اللّه. ألا لا يبقين في المسجد خوخة إلا سُدَّتْ إلا خَوْخة / أبي بكر»(٢). وهذا ٤/٤٢٣
صريح في أنه لم يكن عنده من أهل الأرض من يستحق المخالَّة لو كانت ممكنة من المخلوقين إلا أبا بكر. فعلم أنه لم يكن عنده أفضل منه، ولا أحب إليه منه، وكذلك في الصحيح أنه قال عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها»(٣).

وكذلك في الصحيح أنه قال لعائشة: « ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه الناس من بعدي، ثم قال: يَأْبَى اللّه والمؤمنون إلا أبا بكر»(٤)، وفي الصحيح عنه أن امرأة قالت: يا رسول اللّه، أرأيت إن جئتُ فلم أجدك ـ كأنها تعني الموت ـ قال: «فَأْتي أبا بكر»(٥). وفي السنن عنه أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»(٦). وفي الصحيح عنه أنه كان في سفر فقال: «إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا»(٧). وفي السنن عنه أنه قال: «رأيت كأني وضعت في كفة والأمة في كفة، فَرَجَحتُ بالأمة، ثم وضع أبو بكر في كفة والأمة في كفة، فرجح أبو بكر، ثم وضع عمر في كفة والأمة في كفة، فرجح عمر»(٨).

وفي الصحيح أنه كان بين أبي بكر وعمر كلام، فطلب أبو بكر من عمر أن يستغفر له فلم يفعل. فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ ، فذكر ذلك. فقال: «اجلس يا أبا بكر، يغفر اللّه لك» وندم عمر، فجاء إلى منزل أبي بكر فلم يجده، فجاء إلى النبي ﷺ ، فغضب النبي ﷺ، وقال: «أيها الناس، إني جئت إليكم، فقلت: إني رسول اللّه، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت. فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركو لي / صاحبي؟» فما أوذي بعدها (٩). وقد تواتر في الصحيح والسنن أن ٤/٤٢٤

(١، ٢) سبق تخريجهما ص ٢٥٣ . (٣ ، ٤) سبق تخريجهما ص ٢٥٤ .

(٥) البخاري في المناقب (٣٦٥٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٦/ ١٠) .

(٦) الترمذى فى المناقب (٣٦٦٢) وقال : « حديث حسن » .

(٧) مسلم فى المساجد (٦٨١ / ٣١١) .

(٨) أحمد ٢/ ٧٦، ٥/ ٢٥٩، والطبراني في الكبير(٧٨٦٤) وذكره الهيثمي في المجمع ٩/ ٦، ١٠/ ٢٦٥ وقال: «رواه أحمد والطبراني بنحوه وفيها مطرح بن يزيد وعلى بن يزيد وهما مجمع على ضعفهما».

(٩) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٦١) .

النبي ﷺ لما مرض قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» مرتين، أو ثلاثاً، حتى قال: «إنكن لأنتن صواحب يوسف! مروا أبا بكر أن يصلي بالناس»(١).

فهذا التخصيص، والتكرير، والتوكيد ـ في تقديمه في الإمامة على سائر الصحابة مع حضور عمر وعثمان وعلى وغيرهم ـ مما بين للأمة تقدمه عنده ﷺ على غيره. وفي الصحيح: أن جنازة عمر لما وضعت جاء على بن أبي طالب يتخلل الصفوف، ثم قال: لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، فإني كثيراً ما كنت أسمع النبي ﷺ يقول: «دخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، وذهبت أنا وأبو بكر وعمر»(٢). فهذا يبين ملازمتهما للنبي ﷺ: في مدخله، ومخرجه، وذهابه.

ولذلك قال مالك للرشيد: لما قال له: يا أبا عبد الله، أخبرني عن منزلة أبي بكر، وعمر من النبي ﷺ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد وفاته، فقال: شفيتني يا مالك. وهذا يبين أنه كان لهما من اختصاصهما بصحبته، ومؤازرتهما له على أمره، ومباطنتهما، مما يعلمه بالاضطرار كل من كان عالماً بأحوال النبي ﷺ، وأقواله، وأفعاله، وسيرته مع أصحابه.

٤/٤٢٥ ولهذا لم يتنازع في هذا أحد من أهل العلم بسيرته وسنته وأخلاقه، وإنما / ينفي هذا أو يقف فيه من لا يكون عالماً بحقيقة أمور النبي ﷺ ـ وإن كان له نصيب من كلام أو فقه أو حساب أو غير ذلك ـ أو من يكون قد سمع أحاديث مكذوبة تناقض هذه الأمور المعلومة بالاضطرار عند الخاصة من أهل العلم، فتوقف في الأمر، أو رجح غير أبي بكر.

وهذا كسائر الأمور المعلومة بالاضطرار عند أهل العلم بسنة رسول الله ﷺ؛ وإن كان غيرهم يشك فيها، أو ينفيها، كالأحاديث المتواترة عندهم في شفاعته، وحوضه، وخروج أهل الكبائر من النار، والأحاديث المتواترة عندهم: في الصفات، والقدر، والعلو، والرؤية، وغير ذلك من الأصول التي اتفق عليها أهل العلم بسنته، كما تواترت عندهم عنه، وإن كان غيرهم لا يعلم ذلك، كما تواتر عند الخاصة ـ من أهل العلم عنه ـ الحكم بالشُّفْعَة، وتحليف المدعى عليه، ورجم الزاني المحصن، واعتبار النِّصَاب في السرقة، وأمثال ذلك من الأحكام التي ينازعهم فيها بعض أهل البدع.

ولهذا كان أئمة الإسلام متفقين على تبديع من خالف في مثل هذه الأصول، بخلاف من نازع في مسائل الاجتهاد التي لم تبلغ هذا المبلغ في تواتر السنن عنه، كالتنازع بينهم في الحكم بشاهد ويمين، وفي القَسامة، والقُرْعَة، وغير ذلك من الأمور التي لم تبلغ هذا المبلغ.

٤/٤٢٦ وأما عثمان، وعلىٌّ، فهذه دون تلك، فإن هذه كان قد حصل فيها نزاع / فإن سفيان

---

(١) البخارى فى الأذان (٦٧٩) .
(٢) سبق تخريجه ص ٢٤٥ .

الثوري وطائفة من أهل الكوفة، رجحوا علياً على عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره. وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلى، وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على عليٍّ، كما هو مذهب سائر الأئمة؛ كالشافعي، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل، وأصحابه، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام.

حتى إن هؤلاء تنازعوا فيمن يقدم علياً على عثمان، هل يعد من أهل البدعة؟ على قولين: هما روايتان عن أحمد. وقد قال أيوب السخْتِيَانيّ، وأحمد بن حنبل، والدارقطني: من قَدَّمَ علياً على عثمان فقد أزْرَى[1] بالمهاجرين والأنصار. وأيوب هذا إمام أهل السنة، وإمام أهل البصرة، روى عنه مالك في الموطأ، وكان لا يروى عن أهل العراق. وروى أنه سئل عن الرواية عنه، فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه. وذكره أبو حنيفة فقال: لقد رأيته قعد مقعداً في مسجد رسول اللّه ﷺ، ما ذكرته إلا اقشعر جسمي.

والحجة لهذا ما أخرجاه في الصحيحين وغيرهما، عن ابن عمر؛ أنه قال: كنا نفاضل على عهد رسول اللّه ﷺ. كنا نقول أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان. وفي بعض الطرق يبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره [2].

وأيضاً، فقد ثبت بالنقل الصحيح ـ في صحيح البخاري وغير البخاري ـ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جعل الخلافة شوري في ستة أنفس؛ عثمان، وعلى، / وطلحة، ٤/٤٢٧
والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف ـ ولم يدخل معهم سعيد بن زيد وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وكان من بني عدي ـ قبيلة عمر ـ وقال عن ابنه عبد اللّه: يحضركم عبد اللّه وليس له في الأمر شيء ووصى أن يصلي صهيب بعد موته، حتى يتفقوا على واحد.

فلما توفى عمر واجتمعوا عند المنبر، قال طلحة: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعثمان. وقال الزبير: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعلي. وقال سعد: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعبد الرحمن بن عوف. فخرج ثلاثة وبقى ثلاثة. فاجتمعوا، فقال عبد الرحمن بن عوف: يخرج منا واحد، ويولي واحداً، فسكت عثمان، وعلى. فقال عبد الرحمن: أنا أخرج. وروى أنه قال: عليه عهد اللّه وميثاقه أن يولي أفضلهما. ثم قام عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها يشاور المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم

---

(١) تقدم معناها آنفًا.

(٢) البخاري في فضائل الصحابة(٣٦٥٥)، (٣٦٩٧)، وأبو داود في السنة (٤٦٢٨).

بإحسان، ويشاور أمهات المؤمنين، ويشاور أمراء الأمصار- فإنهم كانوا في المدينة حجوا مع عمر وشهدوا موته - حتى قال عبد الرحمن بن عوف: إن لي ثلاثاً ما اغتمضت بنوم. فلما كان اليوم الثالث قال لعثمان: عليك عهد اللّه وميثاقه، إن وليتك لتعدلن، ولئن وليت علياً لتسمعن ولتطيعن؟ قال: نعم. وقال لعلي: عليك عهد اللّه وميثاقه إن وليتك لتعدلن، ولئن وليت عثمان لتسمعن ولتطيعن؟ قال: نعم. فقال: إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان، فبايعه علي، وعبد الرحمن، وسائر المسلمين؛ بيعة رضًا ، واختيار من غير رغبة أعطاهم إياها، ولا رهبة خوفهم بها (١).

٤/٤٢٨ / وهذا إجماع منهم على تقديم عثمان على علي. فلهذا قال أيوب، وأحمد بن حنبل، والدارقطني: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، فإنه وإن لم يكن عثمان أحق بالتقديم، وقد قدموه ، كانوا إما جاهلين بفضله، وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني. ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم.

ولو زعم زاعم أنهم قدموا عثمان لِضغْنٍ كان في نفس بعضهم على عليٍّ، وأن أهل الضغن كانوا ذوي شوكة، ونحو ذلك مما يقوله أهل الأهواء، فقد نسبهم إلى العجز عن القيام بالحق، وظهور أهل الباطل منهم على أهل الحق. هذا وهم في أعز ما كانوا، وأقوي ما كانوا، فإنه حين مات عمر كان الإسلام من القوة، والعز، والظهور، والاجتماع والائتلاف فيما لم يصيروا في مثله قط. وكان عمر أعَزَّ أهل الإيمان، وأذل أهل الكفر والنفاق: إلى حد بلغ في القوة والظهور مبلغاً، لا يخفى على من له أدنى معرفة بالأمور.

فمن جعلهم في مثل هذه الحال جاهلين أو ظالمين أو عاجزين عن الحق فقد أزرى بهم، وجعل خير أمة أخرجت للناس على خلاف ما شهد اللّه به لهم.

وهذا هو أصل مذهب الرافضة، فإن الذي ابتدع الرفض كان يهوديًا أظهر الإسلام نفاقاً، ودس إلى الجهال دسائس يقدح بها في أصل الإيمان؛ ولهذا كان الرفض أعظم
٤/٤٢٩ أبواب النفاق والزندقة. فإنه يكون الرجل واقفاً، ثم يصير / مُفَضِّلاً ، ثم يصير سَبَّابًا، ثم يصير غاليا، ثم يصير جاحداً مُعَطِّلاً؛ ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة الزنادقة من الإسماعيلية والنصيرية، وأنواعهم من القرامطة والباطنية، والدرزية، وأمثالهم من طوائف الزندقة ، والنفاق.

فإن القَدْح في خير القرون - الذين صحبوا الرسول - قَدْحٌ في الرسول - عليه السلام - كما قال مالك وغيره من أئمة العلم : هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول اللّه ﷺ إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان

(١) البخاري في فضائل الصحابة (٣٧٠٠).

أصحابه صالحين.

وأيضاً ، فهؤلاء الذين نقلوا القرآن، والإسلام، وشرائع النبي ﷺ ، وهم الذين نقلوا فضائل على وغيره فالقدح فيهم يوجب ألا يوثق بما نقلوه من الدين، وحينئذ فلا تثبت فضيلة، لا لعلي، ولا لغيره. والرافضة جهال ليس لهم عقل، ولا نقل ولا دين، ولا دنيا منصورة. فإنه لو طلب منهم الناصبي ـ الذي يبغض عليًا، ويعتقد فسقه أو كفره: كالخوارج وغيرهم ـ أن يثبتوا إيمان علي؛ وفضله : لم يقدروا على ذلك، بل تغلبهم الخوارج . فإن فضائل على إنما نقلها الصحابة الذين تقدح فيهم الرافضة. فلا يتيقن له فضيلة معلومة على أصلهم، فإذا طعنوا في بعض الخلفاء ـ بما يفترونه عليهم من أنهم طلبوا الرياسة، وقاتلوا على ذلك ـ كان طعن الخوارج في علي بمثل ذلك وأضعافه أقرب من دعوى ذلك على من أطيع بلا قتال، ولكن الرافضة جهال متبعون الزنادقة.

٤/٤٣٠ /والقرآن قد أثنى على الصحابة في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾[الحديد: ١٠] ، وقال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: ١٨]. وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»(١)، وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذَهَباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه»(٢)، وقد ثبت عنه في الصحيح من غير وجه أنه قال: «خيرُ القرون القرن الذي بُعِثْتُ فيهم، ثم الذين يَلُونَهُمْ، ثم الذين يَلُونَهُم»(٣). وهذه الأحاديث مستفيضة، بل متواترة في فضائل الصحابة، والثناء عليهم، وتفضيل قَرْنِهم على من بعدهم من القرون. فالقَدحُ فيهم قدح في القرآن، والسنة؛ ولهذا تكلم الناس في تكفير الرافضة بما قد بسطناه في غير هذا الموضع. واللّه ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

---

(١) مسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٩٦ / ١٦٣) وأبو داود في السنة (٤٦٥٣)،والترمذي في المناقب (٣٨٦٠) وقال: « حسن صحيح» .

(٢) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٧٣) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٥٤٠ / ٢٢١) .

(٣) مسلم فى فضائل الصحابة (٢٥٣٣ / ٢١٠) .

٤/٤٣١ / **وَسُئِلَ ـ رضي اللّهُ عَنْهُ ـ عما شَجَرَ بين الصحابة ـ علي ، ومعاوية ، وطلحة، وعائشة ـ هل يطالبون به أم لا؟**

فَأَجَاب :

قد ثبت بالنصوص الصحيحة أن عثمان وعلياً ، وطلحة، والزبير، وعائشة ، من أهل الجنة، بل قد ثبت في الصحيح أنه لا يَدْخُل النارَ أحَدٌ بايع تحت الشجرة(١) .

وأبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان،هم من الصحابة، ولهم فضائل ومحاسن.

وما يحكى عنهم كثير منه كَذِب، والصدق منه إن كانوا فيه مجتهدين، فالمجتهد إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر، وخطؤه يغفر له.

٤/٤٣٢ / وإن قُدِّرَ أن لهم ذنوباً، فالذنوب لا توجب دخول النار مطلقاً، إلا إذا انتفت الأسباب المانعة من ذلك وهي عشرة :

منها التوبة، ومنها الاستغفار، ومنها الحسنات الماحية، ومنها المصائب المكفرة، ومنها شفاعة النبي ﷺ ، ومنها شفاعة غيره، ومنها دعاء المؤمنين، ومنها ما يهدي للميت من الثواب والصدقة والعتق، ومنها فتنة القبر، ومنها أهوال القيامة.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال:«خَيْر القرونِ القرنُ الذي بُعِثْتُ فيه، ثم الذين يَلُونَهُم ، ثم الذين يلونهم»(٢).

وحينئذ ،فمن جزم في واحد من هؤلاء بأن له ذنباً يدخل به النار قطعاً، فهو كاذب مفتر. فإنه لو قال ما لا علم له به لكان مبطلاً، فكيف إذا قال ما دلت الدلائل الكثيرة على نقيضه؟ فمن تكلم فيما شجر بينهم ـ وقد نهى اللّه عنه؛ من ذمهم أو التعصب لبعضهم بالباطل ـ فهو ظالم معتد.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «تَمْرُقُ مارقة على حين فُرْقَة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»(٣)،وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال عن الحسن:

(١، ٢) سبق تخريجهما ص ٢٦٣ .

(٣) مسلم في الزكاة (١٠٦٥/ ١٥٠)، وأبو داود في السنة (٤٦٦٧)، وأحمد ٣/ ٣٢، ٤٨.

«إن ابني هذا سيد، وسيصلح اللّه به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(١).

/وفي الصحيحين عن عمار أنه قال : « تقتله الفئة الباغية»(٢) ، وقد قال تعالى في القرآن: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] . ٤/٤٣٣

فثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف على أنهم مؤمنون مسلمون، وأن عليَّ بن أبي طالب والذين معه كانوا أولى بالحق من الطائفة المقاتلة له، واللّه أعلم.

(١) البخاري في الصلح (٢٧٠٤)، وأبو داود في السنة (٤٦٦٢)، والترمذي في المناقب (٣٧٧٣) وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في الكبرى في الجمعة ١/٥٣٢ (١/١٧١٨)، كلهم عن أبي بكرة.

(٢) البخاري في الصلاة (٤٤٧)، ومسلم في الفتن (٢٩١٥/ ٧٠)، والترمذي في المناقب (٣٨٠٠)، وقال: «حسن صحيح غريب »، وأحمد ٢/١٦١، ١٦٤، ٢٠٦.

obeikandl.com